على ضفاف الأمازون

رحلة في المنطقة الإستوائية من البرازيل

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الناشر

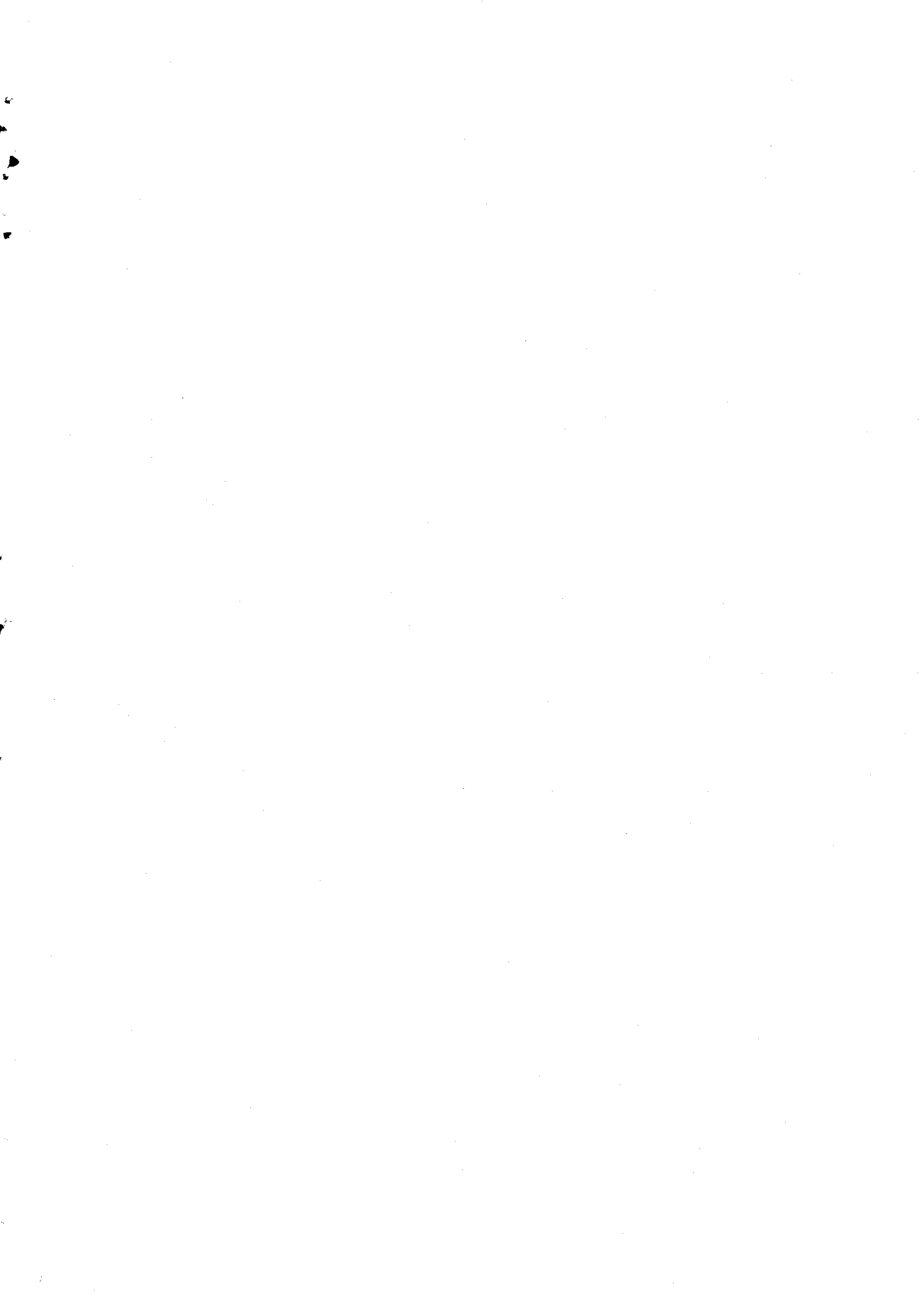
النادي الأدبي في أبها

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

فسح وزارة الإعلام رقم ٥٩٦٠/م
وتاريخ ١٤٠٩/٩/٢٣هـ


بسم الله الرحمن الرحيم



هذا الكتاب

حرص «النادي» منذ أول اصداراته المطبوعة، على تنويع موضوعاته لتكون ثقافية شاملة ترضى أذواق شرائح متعددة من أصدقاء الحرف وهواة الكلمة.

وفي هذا الاطار نقدم لوناً جديداً يتمثل فيه (أدب الرحلات) الذي كان من رواده العرب القدامى (ابن بطوطة وابن جبير) ويأتي في طليعة المعاصرين المؤلف الأديب الشيخ محمد بن ناصر العبودي الذي طالما أمتع قراءه بالكثير من ابداعاته في هذا المجال ونقلهم في جولات ممتعة إلى أماكن بعيدة الأمداء ما كان لهم أن يلموّا بشيء عنها لو لم يتحمل الكاتب الكريم تلك الأعباء اثراءً للثقافة السعودية..

إدارة النادي

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ونصلي ونسلم على سيدنا عبده ورسوله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد : فإن هذه ورقات تتحدث حديث رحلة في المنطقة الإستوائية من البرازيل وهي لاتشمل المنطقة كلها لأنها تضم مجاهل غابات، وأماكن موحشة من الأدغال ولو أراد شخص أن يجول فيها لما استطاع فكيف بمثلي الذي اقتنص من وقته في رحلة عمل إلى بلاد البرازيل الواسعة أو يقات شاهد فيها بين ماشاهد نهر الأمازون العظيم، بل ركب متنه وخاض عبابه مبتدأ من مدينة ماناوس عاصمة ولاية الأمازون وهي في منطقة مرتفعة من القارة الأمريكية الجنوبية. ثم عاد إلى منطقة الأمازون ولكن في جهة منخفضة من القارة غير بعيدة من ساحل البحر المحيط العظيم. وذلك في زيارة لمدينة بيليم، أي (بيت لحم) في ولاية بارا.

وقد رأيت أن اشرك القاريء العربي في قراءة ما كتبته اعتماداً على ماعرفته عنه من إقباله الكريم على ماسبق أن نشرته من كتب في الرحلات كثيرة.

ورأى النادي الأدبي في أبها ضم هذه الورقات إلى كتب عديدة كان قد أصدرها، ونشره ضمن مطبوعاته فله الشكر على حسن ظنه ولرئيسه الأديب الحصيف الأستاذ/ محمد بن عبد الله الحميّد فائق التقدير.

والله الموفق

المؤلف

البرازيل



تقع ولاية الأمازون وولاية بارا حيث الغابات الأمازونية في شمال البرازيل وتمتد من داخل القارة إلى ساحل المحيط الأطلسي.

يوم الثلاثاء ٢٨ محرم ١٤٠٥هـ ٢٣ اكتوبر ١٩٨٤م.
من برازيليا إلى ماناوس :

مدينة (ماناوس) من المدن المهمة في البرازيل، وربما يكفي في الدلالة على أهميتها أنها عاصمة منطقة الأمازون بما يعنيه نهر الأمازون العظيم من ضخامة ووفرة في المياه عرفه بها أكثر الناس حتى تلاميذ المدارس وبما تدل عليه كلمة الأمازون من غابات هائلة المساحة مظلمة الأرجاء، حافلة بالمياه وبالاشجار بل الأسرار التي لايزال أهل البلاد يتحدثون عنها ويكتشفون المزيد منها ومدينة (ماناوس) واقعة على نهر الأمازون بالفعل. وليس ذلك فحسب، وإنما يرحل الناس منها في نهر الأمازون نفسه فيشاهدون منه بذلك مالايشاهدونه في المدينة.

ومع هذه الأهمية للمدينة فإن لسفري اليها حافزاً آخر ألا وهو وجود طائفة من الاخوة المسلمين لم يقوموا حتى الآن ببناء مسجد أو مركز إسلامي يجمع فيه بين العبادة والدراسة. وان كان بعضهم حاول ذلك.

عندما علم أخونا الكريم سفيرنا في البرازيل الأستاذ/ عبد الله الحبابي برغبتي في السفر إلى (ماناوس) أخبر أحد وجهائها من العرب الأثرياء بل من ذوي المكانة السياسية والجاه فيها وهو (خالد الهواش) فهاتف بيته في (ماناوس) فذكروا له أنه في العاصمة برازيليا فأخبر أخاه (حسن الهواش) بقدومي وبحث عن خالد بمدينة برازيليا حتى وجده فأسرع (الهواش) إلى الحضور للسفارة لمقابلتنا وقد صحبني في المطار مع السفير وبعض الموظفين والأخ حسن الزين وهو عربي صاحب وكالة للسفر أحضر معه موظفة لديه إلى المطار من أجل إعداد تذكرة العودة لي إلى سان باولو بدلاً من مدينة (كويابا) التي كان مقرراً ان أزورها من قبل واكتفيت بزيارة زميلي الشيخ محمد بن قعود أثناء زيارتي لمدينة (ماناوس) على أن نلتقى بعد ذلك في (سان باولو).

كما كان عدد من الدعاة إلى الله المبتعثين من المملكة العربية السعودية للعمل في البرازيل في الوداع في المطار أيضاً وقد اتصل الأخ خالد الهواش بأهله في (ماناوس) وأوصاهم باستقبالي وتسهيل ماأحتاج اليه في زيارتي.

وفي مطار برازيليا أدخلونا مايسمى بقاعة كبار الزوار أو (صالون الشرف) وماكنت أريده ولكن كان معي من يريد ذلك.

وأكرمونا حتى إنهم ودعوني قرب الطائرة عدا حسن الزين الذي وصل معي إلى داخل الطائرة لان لديه بطاقة تخوله ذلك على اعتبار انه يعمل في وكالة للسفر بالطائرات. ومعه مضيفة أرضية حتى جلست في المقعد قبل صعود بقية الركاب إمعاناً في التكريم.

ولما كانت الطائرة تابعة لشركة (فارج) الكبيرة في البرازيل من طراز (دس ١٠) ومع كبرها هذا فإنه ليست فيها درجة أولى في هذه الرحلة بل رأيتها كلها درجة سياحية رغم سعة مقاعدها وإراحتها.

وقامت في الساعة الثانية عشرة ظهراً. وكان الإعلان فيها بالبرتغالية بعدها إعلان قصير مختصر بالإنكليزية بعدها الإسبانية.

وحتى ذلك القدر القليل من الإنكليزية لايبدو واضحاً في نطقهم لأنهم يخرجونه مخارج الحروف البرتغالية والذين يفهمون الإنكليزية من ركابهم قليل.

ولم يزد عدد الركاب في هذه الطائرة الكبيرة على نصف المقاعد الا قليلاً وكلهم من اللون اللاتيني الشائع في أمريكا الجنوبية ماعدا قلة منهم من السمر على خلاف العادة ولكن ذلك لايستغرب اذا تذكرنا أننا ذاهبون إلى مدينة إستوائية الموقع بل عاصمة ولاية إستوائية هي ولاية الأمازون.

وخط الإستواء وما قرب منه يصبغ أهله بالسواد كما هو معروف. وذلك لما ترسله الشمس اليه من أشعة تسقط عليه عمودياً فلا يمتصها الغلاف الجوي للأرض كلها.

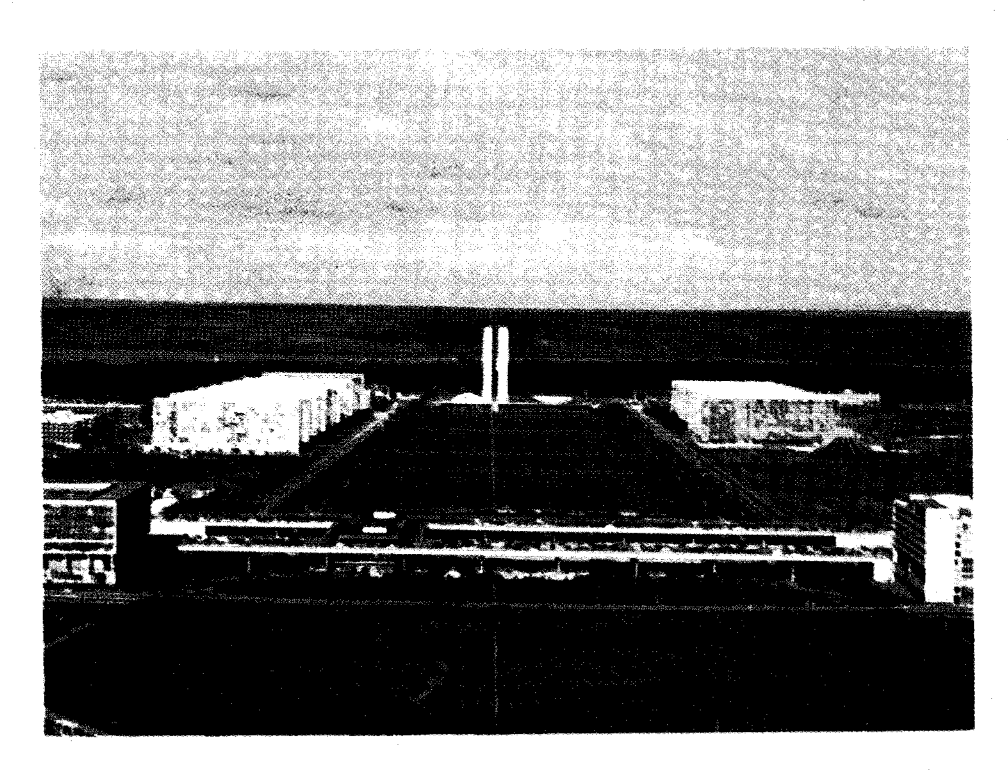
وقد اعلنوا ان المسافة من (برازيليا) إلى (ماناوس) هي ساعتان ونصف.

وعندما نهضت الطائرة تجلت رؤية البحيرة الاصطناعية التي تقوم في المنظر في العاصمة برازيليا مقام النهر أو البحيرة الطبيعية. ومعنى وصفها بالصناعية أنها لم تكن

موجودة بهذا الشكل من قبل، وإنما وجهوا اليها طائفة من الينابيع والأودية التي تسيل بمياه الأمطار وسدوا ماكان يتجاوزها حتى صارت على ما هي عليه الآن. وإلا فإن العاصمة البرازيلية ليست على نهر كما أنها بطبيعة الحال ليست بقرب البحر لأنها واقعة في داخل القارة الأمريكية الجنوبية.

وبدت هذه البحيرة كأنها الخور االصغير من النهر تتوسط العاصمة وتخترق جزءاً هاماً من طرقها ان لم نقل إن العاصمة هي التي تلتف حولها أو تحيط بجزء منها. كما بدت بيوت الضواحي في المدينة تحيط بها الحدائق وهي منثورة بانتظام بسقوفها الحمر وسط الخضرة الغامرة.

ولايرى المرء أثراً لتراب الأرض من الطائرة بسبب شمول الخضرة في هذا الفصل من السنة، ولكن إذا كان هناك موضع محفور فإن الأرض تبدو حمراء كالإستوائية المعتادة في إفريقية وبعض الأقطار الإستوائية الآسيوية.



ضاحية في مدينة برازيليا كما تبدو من الجو.

ثم تجاوزت الطائرة سماء العاصمة برازيليا إلى منطقة من التلال الخضر تتخللها وديان غير عميقة جميلة المنظر. ثم منعنا إرتفاع الطائرة وغيمات متطفلة علينا، أو نحن متطفلون عليها من رؤية الأرض إلى أن تظافرت مع أخوات لها كثيرات فألفت سحباً حالت ما بيننا وبين رؤية ما تحت الطائرة الا أنه يبدو على وجه العموم أن الأرض تحتنا أكثرها غير معمور مع صلاحيته لذلك بسبب وفرة الأراضي الزراعية واستثمار الأموال في غير الزراعة.

وبينما كنت أفكر في ذهابنا مع ركاب الطائرة الذين اكثرهم في الأصل من البيض إلى منطقة الأمازون الإستوائية في شمال البلاد تذكرت توجه الأستراليين الذين أصلهم من البيض ولايزالون بيضاً إلى المنطقة الأستوائية في شمال القارة وبخاصة في مدينة (دار وين) عاصمة الشمال الأسترالي فاستغربت كونهم بيضاً وهم يعيشون في مناطق انطبع في ذهني أن أمثالها لايعيش فيه إلا السود أو السمر الشديدو السمرة ورسخ ذلك الاعتقاد مناظر الأشجار والأعشاب الإستوائية مثل أشجار النارجيل والموز والباباي.

لم تعد نافذة الطائرة تمد العين بما يشغل النظر فلا ترى إلا الشمس الساطعة والقبة الزرقاء قبة السماء أو كما قال بعض الأسلاف من أدباء العرب عندما لجج في البحر (ماثم الا السماء والماء) ونحن هنا نقول : ماثم الا السحاب والسماء، فانصرف النظر إلى داخل الطائرة فشاهد المضيفات البرازيليات اللائي يختارونهن من ذوات الأصل الأبيض. وإن كان الجو قد اذهب بعض الإشراق من وجوههن، وبعض الصفرة من شعورهن قد بدأن بتقديم وجبة الطعام وكان اولها صحن البداءة بالوجبة أو مايسمى في بعض البلدان بالمقبلات والأشربة وهم قد اعتادوا على ان يقدموا الشراب بالمجان في الدرجة السياحية مثلما يقدمه غيرهم لركاب الدرجة الأولى.

وكانت رائحة الطعام تحوم في الأنوف الا انهم كدروا ذلك بل كدروا الطعام كله بما قدموه مع طبق السلطة وهو شريحتان من لحم الخنزير قد احاطتا بما فيه فحرمتني من تذوقه بل من مجرد النظر إليه لأنهما حمراوان تلمعان يذكر **منظرهما بمنظر** الجرح الذي لم يلتئم، وبخاصة أنه كانت توجد فيهما نقط بيض كأنها الأذى الذي يكون في الجروح وقد اكسب الشريحتين منظر رئة الخروف المسلول. فطلبت منهم أن

يبعدوا هذا الطبق كله لأنني لا اشتهي الاكل الحلال وأنا أنظر اليه. أما الطبق الرئيسي في الغداء فكان شواء من لحم البقر الجيد مع قطع من الفطائر وحبات من اللوبيا وقد أكثروا فيه من الفلفل غير الحار والبصل.

ويلاحظ هنا أنهم يعاودون عرض الشراب على الركاب اثناء الطعام مع مايقدمونه قبله. وقد طلبت عصير البرتقال بينما انتهز كثير من الركاب هذه الفرصة فشربوا أشربة غالية.

كما أنهم وضعوا في صحن الوجبة (استمارة) فيها عدة حقول مكتوبة القصد منها أن يبين الراكب رأيه في خدمات الشركة وكفاءة موظفيها والشكاوى التي يريد أن يتقدم بها والإقتراحات التي يراها مناسبة لتحسين الخدمة.

و يشمل ذلك حسبما أوضحوه في الاستمارة مراحل الخدمة في الطائرة كلها ابتداء من الوقوف أمام مكتب الترحيل حتى وصول الراكب إلى هدفه المنشود. حتى إنهم خصصا حقولا يسألون فيها عن مدى مجاملة موظفي الشركة للركاب اي انهم لم يقتصروا على عرض الشكاوي وهذا أمر جيد.

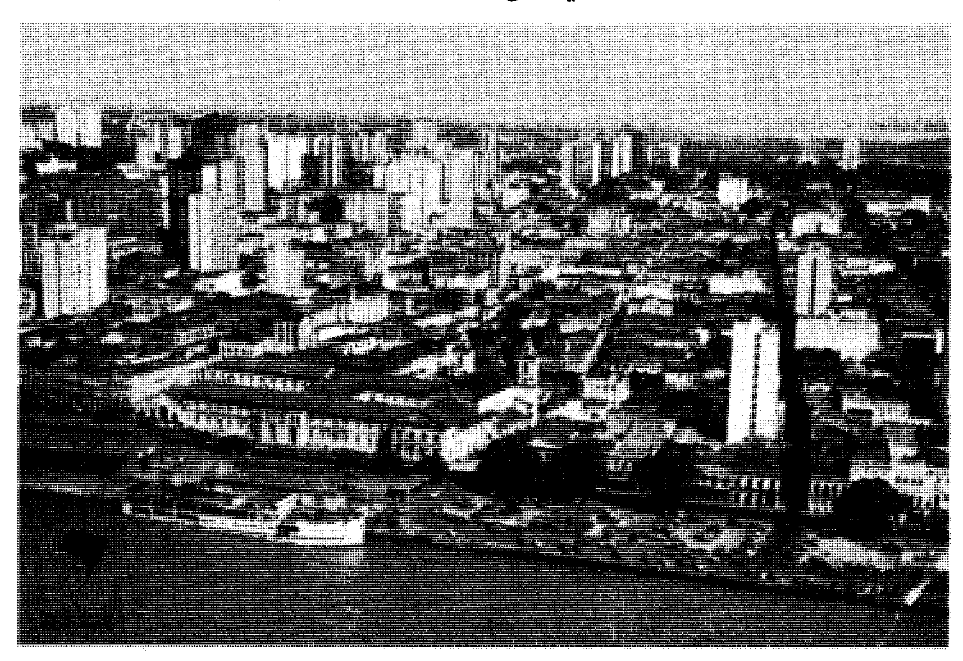
في مطار ماناوس :

بعد ان مضت ساعتان وعشرون دقيقة من الطيران بدا نهر الأمازون واسع المساحة رائع المنظر وبخاصة إذا تذكر المرء في ذهنه وهو يراه أنه يرى أكبر نهر في العالم كله. ولقد أشفقت من غيمات ثقيلة الظل على الارض أن تمنعني من التمتع برؤيته من البعد ولكنها انزاحت بظلها الثقيل أو الخفيف لاأدري فافسحت للنظر أن يستجلي من محيا هذا النهر العملاق من ارتفاع الطائرة ما جعلني أرى أن بعض شعابه أو روافده لاأدري تبدو في اتساعها وكثرة مياهها كالأنهار الكبيرة. وذلك في منطقة خضراء كثيفة الإخضرار وكثافة خضرتها من كونها خضرة طبيعية لم تمسها يد الانسان بغاباتها الكثيفة ومياهها الغزيرة، فهي بهذا تخالف الخضرة الموجودة في مدينة برازيليا العاصمة التي اكثرها خضرة زراعية أو طبيعية مهذبة. وحتى الطرق في هذه المنطقة تبدو ترابية.

ثم مرت الطائرة فوق منطقة واسعة من النهر ذات شاطيء رملي أحمر التربة يبدو وكأنه الشاطيء من البحر تتلاطم عليه الامواج مع انه لابحر هنا بطبيعة الحال لأننا

في وسط القارة.

ثم حامت الطائرة فوق المنطقة الواقعة بالقرب من المدينة فكان اكثر المنظر غابات كثيفة حول مياه نهرية. وأقل مايرى المرء في هذه المنطقة الحقول المستوية فهى لاتكاد تظهر والتربة حمراء اللون كالتربة الإستوائية المعتادة في المنطقه الإستوائية الإفريقية. وبدا وسط المدينة التجاري، على البعد ذا (عمارات) عالية.



وســـط مدينة ماناوس

ثم هبطت الطائرة في مطار ضيق المدرج إلاأنه طويل. وأعلنت مضيفة الطائرة أن درجة الحرارة في (ماناوس) هى ثلاث وثلاثون درجة وهذه درجة تعتبر عالية اذا صاحبتها الرطوبة والرطوبة هنا كثيفة كما رأيتها فيمابعد. كما نبهت المضيفة إلى أن الوقت في هذه المدينة متأخر عن وقت برازيليا بساعة واحدة.

وبناء المطار ليس بالكبير ولكنه مستطيل فيه عدد قليل من الدهاليز المتحركة التي ألقموا باب طائرتنا واحداً منها.

وعندما فتح باب الطائرة رأيت فيه رجلاً أسمر اللون جداً فحياني بتحية الإسلام ولا أدري بم تعرف عليَّ مع أنني ألبس الملابس العالمية المعتادة ولوني في مثل لون

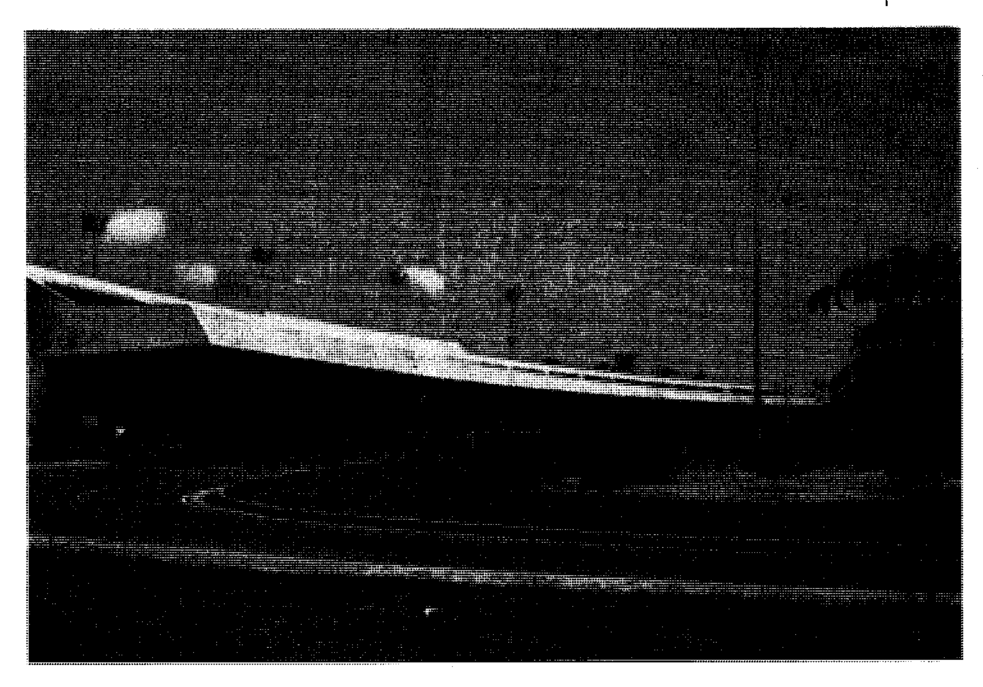
الأغلب من سكان البرازيل.

وقدم نفسه إليّ قائلاً: إنني أخ مسلم أعمل في مطار ماناوس اسمي : حاج حسين ديلايون أصلي من غيانا ثم صحبني من الطائرة إلى غرفة كبار الزوار التي وجدنا على بابها فتاة من أصل أبيض كما هي عادتهم في المضيفات والعاملات في الاستقبال فحيت بإبتسامة واسعة وفتحت الباب وكان مغلقاً من قبل.

ثم أسرعت مضيفة أرضية في الغرفة تسأل عن الشراب المفضل، وكان القول بالبرتغالية فكان الأخ المستقبل يترجم ثم قال: إن عدداً من الاخوة المسلمين من العرب ينتظرون وسوف أدعوهم الآن للسلام عليك بينما آتى بحقيبتك.

وجاء عدد من الإخوة المستقبلين منهم الأخ (بدوي فقوسه) الذي أصبح ملازماً لي بعد ذلك في زيارتي لهذه المدينة وهو فلسطيني يعمل في التجارة.

والاستاذ(حسن الهواش) وهو سوري الأصل من اسرة الهواش التي اعتنت بزيارتي وهى أسرة ذات مكانة في هذه البلاد الإستوائية كما سيأتي والاخ يوسف العواوده وغيرهم.



مطار (ماناوس) الدولي كما يبدو من جهة المدينة.

إلى مدينة ماناوس :

سار الموكب المؤلف من عدة سيارات من الإخوة المسلمين مالبثت أن تفرفت كلها وبقيت معنا سيارة الأخ حسن الهواش حيث كنت شكرتهم على حضورهم وطلبت منهم الإكتفاء بواحدة.

والطريق ما بين المطار والمدينة أكثره ريفي غير معمور بالمنازل بل وحتى غير مهذب، بل هو كالاماكن الريفية الطبيعية. مع أن المسافة مابين المطار وأول مدينة (ماناوس) لاتزيد على تسعة كيلو مترات. ولكن المدينة كانت مع المنطقة قد ظلت راكدة عاجزة عن التطور مدة طويلة بسبب بعدها عن مراكز الحركة التجارية والصناعية في البلاد وحرارة جوها وغلبة الكسل والخمول على سكانها من الهنود الامريكيين وبعض السود الذين هاجروا اليها من اماكن استيطان العبيد المحررين الذين جييء بهم في الأصل من القارة الافريقية لاستخدامهم في مزارع السكر وفي الأعمال الشاقة التي لايقوى المستعمرون الأوروبيون على القيام بها.

ولأمر آخر أخبرنا به إخواننا العرب الذين هم من التجار وان كانت كلمة (تاجر) لاتعني عندهم (ثرياً) وإنما تعني مشتغلاً بالتجارة وهي أن رؤس الأموال اللازمة للقيام بالمشروعات التجارية لم تكن متوفرة هنا في الماضي.

وقد لاحظت من أول وهلة أن الطرق هنا غير جيدة وابتغاء الجمال فيها غير موجود فمثلاً اكثر الأرصفة التي تحف بالطرق قبل الوصول إلى المدينة وعلى مشارفها هي مثلمة وبعضها قد تكسر ولم يصلح، وإستقامة جوانبها ليست كاملة.

وقد أخبرني القوم انهم يقصدون الفندق الذي سننزل فيه وأخبروني ان هناك فندقين رئيسيين في منطقة المدينة احدهما وهو خارجها على بعد ١٧ كم منها اسمه(اوتيل تروبكال).وتروبكال : تعني المنطقة أو المناطق الحارة بطبيعتها وهو على نهر الأمازون. والثاني فندق الأمازون وهو في وسط المدينة.

وقد أخبرتهم بأنني أرغب أن أسكن في وسط المدينة لأن إقامتي فيها قصيرة وأحب أن أشغل وقتي فيها كله بالاطلاع على أحوالها وتصرفات شعبها وإذا كنت في فندق بعيد عنها لم يتيسر لي ذلك كل وقت. ومع ذلك ذهب بي هؤلاء الأخوة إلى الفندق البعيد ليروني إياه أولاً فعندما وصلوا إلى ضواحي المدينة عدلوا عن دخولها

إلى سلوك طريق يشق ريفاً أخضر قالوا: إن أهم مافيه الثكنات العسكرية.

وأهم النبات والشجر فيه هو الموز والنارجيل ثم صار يشق ضاحية جيدة المنازل واصبح الطريق نفسه جيداً لانه طريق حديث لم يمض على انشائه اكثر من خمس سنين كما قالوا.

ثم بدأ الطريق بمحاذاة نهر الأمازون العظيم. والنهر العظيم هذا مؤلف من عدة فروع أو روافد، ولكنه هنا عظيم يزداد عظمة عندما يبعد عن مدينة (ماناوس) بمسافة قصيرة حيث يلتقى به فرع له آخر عظيم اسمه : (نهر سلمونس) فيؤلفان نهراً واحداً هو الأمازون أيضا.

وعلى ذلك عندما رأيت النهر من هذه الناحية ورأيت اتساعه وضخامة مجراه والرمال الموجودة في شطآنه كأنها رمال البحر الخضم اكبرته وأعجبت به مع انه في الحقيقة ليس الابداية نهر الأمازون ــ إن صح التعبير

النقطة السوداء :

هذا النهر العظيم الأمازون يسمى هنا: النهر الاسود وذلك لان مياهه بنية اللون والاماكن العميقة فيها تبدو سوداء.

وسوف يأتي الحديث عن سواده عندما نشاهد إختلاطه بالنهر الآخر ذي المياه البيضاء (نهر سلمونس) فيما بعد.

ومع ذلك فإن الموقع الذي نقصده الآن منه يسمى :(النقطة السوداء)، أو (بنتا نقرا) بالبرتغالية.

وقفنا في (النقطة السوداء) فوق مرتفع على شاطيء نهر الأمازون ولم نشاهد سواداً إلا في مياه هذا النهر العظيم العريض. وإلا في رواد مقهاة على الشاطيء كانوا من بين رواد فيه منهم الشقر والسمر ولكن السواد هنا في البرازيل لايشعر بشيء من الضعة أو الوصف السيء بل انه محمود عند بعضهم فالقوم بيضهم وسمرهم ليس عندهم عنصرية ولذلك لايبغضون السود ولاينعتونهم بنعوت لايحبونها.

كان أول مافعلناه بعد استجلاء مشاهد هذا النهر العظيم الأمازون الذي تقع عيني عليه أول مرة من الأرض أن اخذنا صوراً تذكارية فيه. ثم شربنا شراباً من ثمار النارجيل الأصيلة فهذه المنطقة منطقة استوائية والمناطق الإستوائية هي المناطق المفضلة لأشجار النارجيل.



صورة التقطها المؤلف لنهر الأمازون الواسـع

ثم رأيت فـنـدق (تـرو بـكـال) أو المـناطق الحارة في جو حار شمسه تكاد تخترق الرؤس وإن كان هواءه هين الوقع على الوجوه فليس فيه سموم ولا هو بالحار الشديد الحـرارة. وإنمـا عـيـبـه مـاتحـس بـه مـن رطـوبة ثقيلة مبعثها كثرة المياه وغلبة الرطوبة والندى على الجو.

وقـد رأيـت الـنـاس يسبحون على شاطىء هذا النهر العظيم كما يسبح غيرهم على شـواطـيء الـبـحار الواسعة. ولاشك في أن السباحة في مياه النهر أفضل منها في مياه البحر لأن المرء على الأقل لايشعر بعدها أنه بحاجة إلى الاغتسال لطرد الملح عنه.

ونـظـراً لأن المـنطـقـة مـنـطـقة سياحة وسباحة فإن كثيراً من رواد هذا المقهى أو اكثرهم كانوا قد جلسوا إلى المقهاة بلباس الاستحمام.

ولاتجـد مـن يـسـتـنـكـر ذلـك لأن هـذا الامـر أمـر مألوف في البرازيل لاسيا في الاماكن التي تعتبر من مواطن النارجيل حيث يمل المرء من ثيابه بل يود ان يخرج من إهـابـه. وأذكـر أن فـتـاة طـر يـة سارعت إلى أحد الرفاق من سكان (ماناوس) وهي تـقـتـرب مـن أذنـه كـأنمـا تـنـاجـيه. وقال أحدهم إنها تغازله فالقوم لايستنكرون ذلك

ولايخشون من القال والقيل، حسب العرف الاجتماعي في بلادهم.

وكان من المناسب في هذا المقهى الواقع في هذه المنطقة الإستوائية أن يكون أثاثه كله من الخشب حتى الموائد وهكذا كان.

في مدينة ماناوس :

راق لنا منظر (الأمازون) العظيم، ولم يرق الفندق الحار وان كان داخله بارداً أو مبرداً فأسرعنا نغادر المكان قاصدين قلب المدينة : مدينة (ماناوس).فرأينا على مشارفها منازل خشبية مرفوعة عن الأرض بدعائم من الخشب لتقيها الرطوبة لكون المنطقة ندية كثيرة الأمطار.

وذكرت بهذه المناسبة منازل مثل هذه المنازل رأيتها في بروناي وحكيت قصتها في كتاب : «زيارة لسلطنة بروناي الاسلامية» الذي طبع حديثاً. كما تذكرت أني رأيت أمثال هذه المنازل في مناطق قريبة من خط الاستواء وهي رطبة ندية بل كثيفة الرطوبة في مدغشقر وبخاصة في بلاد التيموريين الذين أصلهم من العرب المهاجرين إلى مدغشقر.

وقد قصصت أيضاً قصتهم في كتاب : «مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين» الذي طبع قبل سنوات.

وقد سألت أصحابي الذين في السيارة عن الغرض من رفع هذه البيوت عن الأرض هنا فأجابوا بما كنت عرفته من قبل وهو أن ذلك لا تقاء الرطوبة.

ثم مررنا بحي شعبي أو على الأدق بحي للفقراء منازله من الخشب والصفيح وتنبعث الروائح الكريهة منه فتسبق العين إلى الانف لكي يصد العين عن رؤيتها وذلك أنها مبنية على فرع من نهر تنزل اليه بعض فضلات البيوت ولكن الفقراء الذين لايجدون بيوتاً بنوا على ضفتي هذا النهر بيوتاً لهم من الخشب أو الصفيح لان ذلك في نظرهم خير من لابيوت رغم ما هو عليه من السؤ.

وحتى الخشب الذي بنيت به البيوت هو خشب سيىء قد أحالت الامطار الكثيرة وتغيرات الجو لونه إلى لون الرماد فغدا حالكاًيتناسب منظره مع منظر بعض الأهالي الذين وإن كانت الوانهم بيضاً في الأصل فإن مناظرهم لا تدل على العيش الرغيد.

ثم مررنا بسوق شعبي صغير بجانب هذا الحي الفقير فرأينا كل حوانيته وبسطاته من الخشب ولكنه مغلق الآن لأنه يكون مزدهراً في أول النهار أو في آخره كما قالوا لنا.

وقد ذكرنا منظر المنازل والحوانيت هنا بما كنت قد عهدته منها في إفريقية حتى لا تكاد تفرق بينهما.

ولاغرو في ذلك فالجميع هنا وهناك يجمع بينهما الطقس الاستوائي الحار الرطب الا أن الفارق هو في السكان فهم هنا سمر وبعضهم من البيض الذي اسمروا ولا تكاد تلمح هنا أسود. وان كان الامر يختلف هنا عما هو عليه في المدينة اذ يوجد فيها سود بنسبة لابأس بها كما توجد بها اماكن كثيرة فاخرة غير هذه الاماكن بطبيعة الحال.

والغريب في الامر أن الذين بنوا منازلهم على ضفاف هذه الترعة أو الفرع الصغير من النهر قد تكلفوا رفعها عن الأرض بخشب تعبوا عليه نفقة وجهداً مع ان المياه آسنة والضفاف حولها متسخة.

وتجاوزت السيارة هذه المنطقة لتدخل في أحياء من المدينة القديمة التي اكثر بيوتها من الإسمنت أو الخشب المدهون ورأيت أهل البلاد على طبيعتهم من السمر الشديدي السمرة مما لم أر له مثيلاً فيما مررت به من مدن البرازيل في هذه الرحلة وان كنت سمعت ان أهالي (بهية) و(سلفادور) عاصمتها في البرازيل فيهم كثير من السود. الا أنه مع هذه السمرة الشديدة في المدينة فإن نساءها لم يتخلفن إن لم نقل لم يتقدمن عن بقية نساء البرازيل في التبرج وعدم المبالاة بما ظهر من أجسادهن.

فعلى سبيل المثال رأيت هنا (موضة) مايسمى بتعرية الكتف الواحدة وذلك بأن تلبس المرأة قميصاً أو صدرياً واسع الجيب جداً بحيث يبدو منه أحد الكتفين ويكون الكم الأعلى للقميص ممايلي الكتف مسترخياً.

هذا إلى جانب اللباس القصير الذي هو شائع هنا اكثر من شيوعه في العاصمة (برازيليا) على سبيل المثال وذلك بسبب حرارة الجو ورغبة اهلها من رجال ونساء في التخفف من اللباس.

التلفاز العربي بدون عربية:

مررنا بمحطة للتلفزة اشار اليه **مرافقونا** باهتمام وقالوا: إن محطة التلفاز هذه هي ملك لمرافقنا واقاربه من أسرة **الهواش**.

ورأيتها عالية البرج، واسعة **المبنى**، ضخمة المنظر، فتعجبت لذلك ولكنهم أضافوا بأن العجب سيزايلني او سيزيد حينما اعرف انهم يملكون ثمانياًوثلاثين محطة تلفاز غير هذه.

وأن محطات التلفاز التي **يملكونها** تدر عليهم ارباحاً مالية ضخمة لأن المعلنين يقبلون على الاعلان بها. وذلك ناشيء من اقتناعهم بأن المشاهدين يفضلون مشاهدتها على مشاهدة غيرها.

وقالوا : إنهم يستفيدون من هذه المحطات فائدة معنوية أيضاً تتعلق بالنفوذ السياسي لأن من يؤيدونهم يستخدمون في تأييدهم هذه المحطات التلفازية.

وسألتهم عما إذا كان يذاع من هذه المحطة التلفازية أو من غيرها من محطاتهم اي برامج باللغة العربية ؟

فنفوا ذلك وقالوا : إن محطات التلفاز لاتبث شيئاً بالعربية، وإنما هناك اذاعة مسموعة تبث برنامجاً قصيراً بالعربية لايتجاوز ساعة واحدة هي التي بين الحادية عشرة والثانية عشرة من ظهر كل سبت ولاشيء غيرها في هذه المدينة.

أما محطات التلفاز الاخرى غير محطتهم في هذه المدينة فقالوا إنها اربع إحداها للحكومة وثلاث للتجار.

نزلنا في الفندق الرئيسي في داخل المدينة واسمه (فندق الأمازون) وأجرته اثنان وتسعون الف (كروزيرو).

ويقع في قلب المدينة التجاري تحيط به بيوت ظاهر عليها القدم مؤلفة من طبقات متعددة وابنية (عمارات) متعددة الطوابق الا ان منظر اكثرها غير بهيج.



فندق الأمازون في ماناوس

والفندق رغم كونه معدوداً من فنادق الدرجة الأولى وهو أشهر الفنادق في المدينة نفسها فإنه لايبدو بهيج المنظر ولا شيق الطلاء بل إن منظره من الخارج يشعر بالكآبة وغرفه لا تدل على العناية التي تلزم لغرف الفنادق الحديثة.

ولكن فيه بعض المزايا فأنا اطل من الشرفة في غرفتي على نهر الأمازون الذي لايبعد عن الفندق إلا بحوالي مائة متر.

كما أنه في وسط المدينة حيث يشاهد المرء حتى من الشرفة حركة السيارات وافواج الشعب الذين تمتلىء بهم أرصفة الشوارع وهم يسيرون في هذا الجو الحار الرطب الثقيل. ولولا المكيف في الغرفة لاصبح المقام فيها غير محتمل.



جانب من قلب مدينة ماناوس الواقع على ضفة نهر الأمازون العظيم

جولة في مدينة ماناوس :

مدينة ماناوس هي عاصمة ولاية الأمازون كما قدمت والأمازون منطقة المياه والأنهار والبحيرات كما يوحى بذلك مجرد تسميتها باسم النهر العظيم نهر الأمازون.

ومع ذلك لم يغن عنها ذلك فسيطر عليها الجمود وعجزت عن الازدهار حتى فكرت الحكومة في شيء يعمل على إنهاض في هذه الولايه المهمه من كبوتها،

ويحفزها على مسايرة باقي الولايات البرازيلية السائرة في طريق النمو والازدهار فلم تجد ان مافيها من المياه والانهار يجدي في ذلك وإنما وجدت لها حيلة هي أن تكون منطقة حرة يجوز جلب البضائع الأجنبية إليها والتعامل بالنقد الأجنبي داخلها.

وهذا الامر له أهمية كبرى في بلاد البرازيل ذات الصناعات الوطنية الناهضة التي تحتاج إلى حماية جمركية قد تجعلها أغلى من غيرها من البضائع الأجنبية المستوردة أو ربما أقل جودة في بعض الأحيان.

قالوا: فأثمرت هذه الوسيلة التجارية وقفز عدد سكان المدينة في سنوات قليلة من مائة وخمسين الف نسمة إلى مايقارب المليون. وشهدت ولا تزال تشهد رواجاً تجارياً متزايداً.

ولذلك كان أول مالفت نظري فيها اليوم أسواق فيها حوانيت تشبه الحوانيت المؤقتة المؤلفة من المظلات والخيام وأكثر ما فيها من السلع الملبوسات والحقائب وبعض الحاجات الصغيرة وهي على هيئة صفوف لايفصل بينها الا ممرات ضيقة مما يدل على الرواج التجاري.

وهذه الحوانيت الصغيرة واقعة في قلب المدينة التجاري الحافل بالحوانيت الكبيرة والمحلات التجارية المزدهرة.

كان الجو حاراً رطباً في هذه الساعة من الأصيل مما يضايق السائر على قدميه في الشارع وكان منظر الناس في المدينة مما لايبعث على الإرتياح أيضاً فالسمرة القائمة والعرق الذي يتصبب من الوجوه وتخلي النساء عن معظم ملابسهن، مما لايتفق مع الذوق السليم.

وقد لاحظت هنا أن الناس يكثر فيهم المختلطون الذين هم نتاج مابين البيض والسود كما أن بينهم نسبة من السود بالفعل أما البيض ذوو الأصول البيضاء فقد أصابهم هذا الجو بالكدر في الالوان ونزع منهم الإشراق في الوجوه. فقل ان ترى وجهاً زاهراً من وجوههم.

وزاد الأمر غرابة أن هنا طائفة غريبة من الوجوه بارزة الوجود هي وجوه الهنود هنود الأمازون السمر الذي يشبهون المغوليين لولا أن الوانهم ليست بيضاً أو حمراً كالوان المغول وإنما اشبه الناس بهم بعض السكان السمر في تايلند ومع ذلك تجد

بعضهم قد اختلط بالسود أو الأوروبيين فنشأ عن اختلاطهم جنس من الناس غريب لايرى فيه العربى القادم من البلدان العربية شيئاً من الوجاهة أو الجمال.

ولقد أصبحت وأنا أسير في أسواق هذه المدينة على قدمي أسائل نفسي دون ان اشعر عما إذا كنت في البرازيل حقاً.

فالوجوه مختلطة والسمرة هي السائدة وتقاسيم الوجوه متباينة مختلطة وحتى الألوان البيض هي متغيرة.

هذا مع أنني قد شاهدت سكان مدينة (ريو دي جانيرو) ورأيت الألوان المختلطة العجيبة فيها ولكن أهل (ريو دي جانيرو) على كثرة اختلاطهم لا تزال توجد فيهم نسبة من أهل البياض. ولاشك في أن السبب في الفرق مابين مناظر القوم هنا ومناظر أهل (ريو دي جانيرو) هو دخول العنصر الهندي الأمازوني أو الأمريكي الأصيل في هذه البلاد إلى جانب الجو الاستوائي الذي يصبغ الأجسام بالسواد.

ولطالما رأيت أناساً هنا يشبهون السمر من بدو الجزيرة العربية أو حتى سكان الحواضر من بلاد تهامة الا ان المرء حين يدقق في وجوههم يجد ان تقاسيمها تخالف تقاسيم وجوه أهل الجزيرة وانه اذا كان فيها شيء من اللون الذي يشبه بعض ألوان أهل الجزيرة فإن فيها أشياء كثيرة تخالفهم وانها لذلك إنما هي خلق آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

ولقد سمعت موسيقاهم التي تصدح بالألحان في اكثر من (دكان) فسمعتها تشدد على الايقاع الراقص مما ذكرني بالأغاني والموسيقى التي ألفها الأفارقة في بعض الأقطار الإفريقية المتقدمة مثل كينيا وليبريا.

وقد أكد هذا في نفسي مارأيته مرة أو مرتين من فتيات سمر كن يمشين في الأسواق حتى إذا حاذين الحانوت (الدكان) الذي يذيع الموسيقى الراقصة أخذن يهززن أوساطهن يغلبهن ميلهن إلى الرقص ولو لفترة قصيرة يمضين بعدها إلى حال سبيلهن تماماً مثلما كنت رأيت بعض الإفريقيات يفعلن في إفريقية.

أما الحوانيت فإنها حافلة بالسلع التي أكثرها من الأجهزة والملابس ولقد خيل إليّ أن كثيراً من أهل هذه الحوانيت هم من العرب فعليهم سيماء العرب من سوريا ولبنان رغم التغير الذي احدثه الجو وهو سمرة زائدة في الوانهم.

العرب في ماناوس :

ولمناسبة الحديث عن العرب هنا يجدر ان نلقي بكلمة عاجلة عن العرب في (ماناوس) سمعتها من الاخوة العرب المقيمين هنا.

وهي ان عدد العرب في المدينة بلغ حوالي مائتين وخمسين أسرة تصفهم تقريباً من المسيحيين وتصفهم الآخر من المسلمين.

وهم من سوريا ولبنان وفلسطين لايشركهم في ذلك غيرهم الا ما ندر من رجلين أو ثلاثة وحالة العرب المالية والتجارية جيدة بل هم اكثر الأجناس تملكاً للعقارات في المدينة بل في الولاية كلها.

يليهم في ذلك الأسبان والبرتغاليون .

ومن أشهر مالكي العقارات الأثرياء من العرب هو مصطفى سعيد أصله من بلدة (جبيل) في لبنان.

ومن الأثرياء المشهورين من العرب وخاصة في تملك الأراضي أسرة (الهواش) التي يصاحبني احدها وهو الأخ (حسن الهواش).

ولكون العرب مختلطين ما بين مسلمين ومسيحيين سألت اخواننا المسلمين عن العلاقات ما بين الفئتين ؟ فأجابوا بأنها جيدة وأنه لا توجد مشكلات فيما بينهم بل إنهم يتعاونون في الأعمال التجارية ويعقدون اجتماعات مشتركة في (نادي سوريا ولبنان) الموجود في المدينة.

وقد تعبت من المشي في هذا الجو الاستوائي الرطب فعدت إلى الفندق وجلست في مقهاته التي يفصل بينها وبين الشارع حاجز من الزجاج باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. وجعلت أرقب الناس من داخل المقهاة.

وطلبت قهوة لأشربها في انتظار الأخ الودود (بدوي فقوسه) الذي أصبح نافعاً لي بعد ذلك لانه لازمني طيلة بقائي في مدينة ماناوس. فأبطأت العاملة بطئاً شديداً ثم احضرت قهوة كثيرة طلبت لها ثمناً غالياً وكنت أظن أنهم في هذا الأمر كأهل اريودي جانيرو) الذي يأتون بالقهوة في فنجان صغير.

وقد لاحظت أن البطأ في تصرفات العاملين في المقهاة هو السائد حتى إن سائحين أوروبيين طفقوا فترة ينادون العاملة ثم تكلموا إلى موظف في صندوق المقهاة

يظهر انه محاسب من دون أن يستجيب لندائهم أحد مما اضطر أحدهم إلى القيام إلى العاملة ودفع قيمة ماشربوه لها. وهذا كله رغم قلة الرواد وبالتالي قلة العمل بطبيعة الحال.

أما الناس النين أراهم الآن من الحاجز الزجاجي فإنهم قد انتشروا في الاسواق اكثر مما كان عليه الحال قبل ساعتين وذلك لكون الجو قد أصبح أقل حراً.
فظهروا على سجيتهم في الشوارع شعباً ملوناً عجيباً. يسيرون دون تكلف أو تزمت.
وبعضهم تظهر عليه رقة الحال ونسبة السود او الذين تقرب الوانهم من السواد فيهم كبيرة.

إلى ميناء أمازوني.

خرجت مع الأخ (بدوي فقوسه) في تمشية على الاقدام ابتغى السير على شاطيء نهر الأمازون القريب من الفندق وهو الذي تقع عليه المدينة مدينة (ماناوس) فاختار أن يريني ميناءاً صغيراً أسماه الصغير أيضاً وذلك لقربه وسهولة الوصول اليه.

اخترقنا الحي التجاري الذي يقع فيه فندقنا (فندق الأمازون) فأفضى بنا ذلك بسرعة إلى ميناء صغير على نهر الأمازون والمراد من نعته بالصغير انه ليس الميناء الرئيسي الذي تستعمله المدينة ذلك اشبه بالميناء المعتاد على بحر خضم. وإنما يستعمل هذا الميناء أرباب القوارب الصغيرة والمتوسطة وبخاصة منها القوارب الشعبية اي الفقيرة وقوارب الفلاحين والمسافرين الفقراء إلى القرى والنواحي فوجدت هذا الميناء الصغير على غاية من القذارة والإهمال.

فأول ذلك أن الطريق إليه هو طيني غير مسفلت ومع ذلك حالته رديئه وجوانبه تكاد تنهار والطين نفسه قد تشقق بفعل المطر وعدم العناية حتى اصبح بالمكان النائي في الخلاء اشبه منه في جانب مدينة يفترض ان تكون عصرية.

واذكر أن سيارة كبيرة سيئة المظهر أيضا أرادت اجتياز الطريق ونحن نمشي فيه فأبعدنا عن طريقها حتى كدنا نسقط في الماء الضحل المليء بالأوساخ.

وحتى البيوت التي تطل على هذا الميناء الصغير متسخة وبعضها متهدم وتحف بها الأقذار التي يتقزز المرء من رؤيتها.

ولاشك في أنها لم تنل حظاً من الترميم والاصلاح منذ مدة طويلة.

ورأيت أناساً من الأهالي جالسين على بعض اكوام من الطين والحصى وهم على حالة من سؤ المنظر وإهمال المظهر زرية وحاولت أن أقارن بين هذه المنطقة وبين الحي التجاري النظيف قرب فندقنا فوجدت ان لا وجه للمقارنة.

وسألت الأخ(بدوي) عن الميناء الكبير فأشار إلى بناء جيد كالقلعة وقال : هذه هي أبنية الميناء بجانب هذا المكان المهمل الذي لاتهتم به البلدية لانه لايستعمله الاطوائف الفقراء من الشعب. أما الميناء الكبير فهو تأتي اليه البواخر الكبيرة وتقلع منه زوارق السياح وسوف نركب منه فيما بعد ونراه آنذاك إن شاء الله.

حاولت أن أظل قليلاً في هذا الميناء الأمازوني الذي يكفي مغريا للبث فيه أن يتذكر المرء أنه واقع على نهر الأمازون العظيم أكبر أنهار العالم. وبخاصة في ساعة الغروب هذه ولكن جيشاً ولاأقول أسراباً من الحشرات الصغيرة اللاسعة من نوع البعوض أو ماهو دونه قد ملأت الجو، تخدش الوجوه وتصافح الايدي وتعض بالأرجل، تدخل مابين سراويل المرء ورجله.

فأسرعنا بمفارقته وأنا أتعجب من هؤلاء القوم الذين يستطيعون اللبث فيه، بل يستطيع بعضهم السكنى فيما حوله مع هذه المضايقات. بل أعجب من صبر اطفالهم على ذلك من دون ان أراهم يشكونه أو يتضجرون منه.

عشاء عربي في الأمازون :

كلمة الأمازون هنا تدل على الولاية كما تدل على النهر. ومع ذلك فإن لكلمة الأمازون عندنا نحن الذين ظللنا نقرأ عن هذا النهر دون ان نراه فترة طويلة جرساً خاصاً ومدلولاً هاماً لذلك عندما دعاني الأخ (حسن الهواش) إلى بيته لتناول العشاء في هذه الليلة وقال : إنه سيجمع بعض العرب المسلمين لم أمانع في ذلك رغبة في العشاء في الأمازون والالتقاء بإخواني المسلمين.

ولكن تبين أن الأخ الهواش ربما كان قد شبع من سماع كلمة الأمازون كما شبع من جوها الحار وهوائها الرطب فجعل مائدته عربية لبنانية كان أظهر مافيها (الكبه) الشامية و(المتبل) والمجدرة والبقية من اصناف عربية معروفة الأنواع من الاسماك الجيدة التي لا توجد إلا في هذا النهر.

وقد حضر العشاء جماعة من الإخوة المسلمين من الفلسطينيين المهاجرين إلى هذه

البلاد منهم : يوسف عبد الله العواوده من مدينة الخليل والأخ ايوب عطا يعقوب من الخليل أيضاً والإخوة محمد وحاتم ابراهيم من منطقة نابلس، وعلي عطا صاحب مصنع للورق المقوى (الكرتون) ومعنا ملازمنا الأخ الطيب الودود (بدوي فقوسه).

وقد حاولت في هذا الاجتماع أن أؤكد على وجوب الاهتمام بانشاء المسجد والمدرسة في هذه المدينة (ماناوس) التي تضم عدداً من الاسر العربية المسلمة. كما كانوا قد أخبرونا به من قبل.

فأمن اكثرهم على ذلك غير أن اثنين اعترضا وقالا : إن الدول العربية عليها واجب فعل ذلك وأن العرب مقصرون في مساعدة إخوانهم المسلمين في مهاجرهم على ذلك وأمثاله.

فأخبرتهم أن كون العرب المسلمين مقصرين في حق إخوانهم المسلمين في المهاجر لايعفي المسلمين المهاجرين من القيام بالواجب. ثم إننا نرى إخوانكم من العرب الآخرين قد أسسوا جمعيات أنشأت مدارس ومساجد وساعدهم إخوانهم في البلدان الإسلامية وعلى رأسهم المملكة العربية السعودية التي تعتز وتحمد الله تعالى على كونها أكبر من يبذل العون للإخوة المسلمين على قيامهم بأمور دينهم وعمل مايحفظ أجيالهم الطالعة في المهجر من الضياع لئلا يكون طريقهم طريق الاجيال من ابناء موجات الهجرة الأولى الذين ذابوا في هذا المجتمع المادي المسيحي فضاعوا وأصبحوا اثراً بعد عين.

ثم قلت لهم : ان اخوانكم المسلمين من ذوي الأصول الهندية قد ضربوا المثل الأعلى في العمل الإسلامي في مهاجرهم فكانوا يؤلفون الجمعيات، ويجمعون الأموال، فيبنون المدارس، ويشيدون المساجد، ثم يستقدمون من الهند على نفقتهم من يعلمهم أمور دينهم ويعلم ابناءهم أنهم مسلمون متميزون على غيرهم بالدين والثقافة والأصول الحضارية من دون ان يكون في هذا مايدعوهم إلى الإنفصام عن مجتمعهم أو عدم الاندماج الصناعي أو التجاري به.

وقد علق على ذلك الأخ بدوي فقوسه فقال : هذا صحيح أضرب المثل على ذلك بأنني منذ خمس سنوات وانا أدور على المسلمين في هذه البلاد أحاول ان أجمع مبلغاً من المال عسى أن نستطيع أن نبني به المسجد فلم أستطع طيلة السنوات

الخمس أن اجمع اكثر من خمسة الآف دولار. وكان المقدار الذي طلبته من الاخوة المسلمين هنا هو سبعة دولارات في الشهر وهو مبلغ قليل بالنسبة إلى الاخوة التجار.

قال: ومن الغريب أنه يوجد في (ماناوس) مسلمان من غير العرب أحدهما يسمى (امروش) ولم نكن نعرف انه مسلم الا عندما علم بأننا نجمع للمسجد فأخبرنا أنه من أصل تركي وأن اسمه الأصلي (عمر) فكان يأتي إليَّ في متجري أو في بيتي و يدفع المبلغ والثاني من غيانا وهو أيضاً يأتي إلى بهذا المبلغ كل شهر بدون أن أطلبه منه.

أما بعض اخواني فإنني أذهب إليهم بنفسي إلى متاجرهم ومحالهم وألح عليهم بطلب ذلك إلى درجة الاستجداء.

قال : والسبب الذي جعلنا لانحصل على اكثر من هذا المبلغ أن كثيراً من المسلمين القادرين لايدفعون إليّ.

قلت له : إنني لااعتقد ان الموضوع موضوع هذا المبلغ الضئيل من المال وانما هو مدى قدرتك على اقناعهم بذلك ثم اقتناعهم به.

ثم سألتهم عما اذا كانوا قد الفوا بالفعل جمعية لهذا الغرض وسجلوها رسمياً وانتخب لها أعضاء حتى ادفع لهم الآن من الرابطة مبلغاً مجزياً من المال بل انني أستطيع ان اعطيهم الآن فوراً لمشروع المسجد اكثر مماجمعوه منذ خمس سنوات ثلاث مرات وهو خمسة عشر ألف دولار أمريكي.

ذلك بأن رابطة العالم الإسلامي مثل غيرها من الجهات الرسمية العالمية لا تستطيع أن تدفع مبلغا كبيراً إلى جهة ليست لها صفة قانونية.

ثم وجهت الحديث إلى مضيفنا الأخ (حسن الهواش) وهو من أثرياء العرب المذكورين في هذه البلاد أسأله عن موضوع العمل على بناء المسجد الذي ذكر لي أخوه خالد الهواش عندما كان يودعني في مطار برازيليا ضحى هذا اليوم أنه لم يتم شيء من ذلك العمل؟

فأجاب بأنه لم يتم فيه شيء لأنه شغلته عوائق خاصة.

وقال الأخ حسن الهواش انني أعلن امامكم الآن أنني على استعداد لامنح الاخوة المسلمين أرضاً مساحتها عشرة الآف متر مربع ليبنوا عليها مسجداً من قطعة

أرض أملكها تبعد عن قلب المدينة عشرة كيلو مترات.

ولكن الأخ بدوي فقوسه قال : إننا نريد أرضاً في داخل المدينة حتى يستطيع من لايملكون سيارة مثلي ان يصلوا في المسجد.

هذا وقد خرجنا من بيت الأخ حسن الهواش في العاشرة والنصف ولم اجد لدي رغبة في النوم فنزلت في الحادية عشرة وجلست في مقهاة على الرصيف العريض الذي يقع عليه الفندق فوجدتها حافلة بأناس من بينهم نساء شابات قد تخففن من الثياب حتى حكمت في خاطري انهن من العاهرات او العارضات انفسهن من دون أن يكون لدي دليل على ذلك.

الا أنني عندما حدثت القوم عنهن قالوا ان هذا مكان يعتبرونه هنا محترماً، وإن النساء أولئك هن ممن جئن إلى هذا المكان لقضاء وقت فيه ولسن ممن ذكرتهن.

والحقيقة ان الأمر في البرازيل قد اختلط فيما يتعلق بالنساء على الغريب فالنساء أو أكثرهن يسارعن إلى محادثة الغريب، وأكثرهن إن لم نقل كلهن يلبسن ألبسة غير محتشمة فلا يستطيع الغريب أن يعرف المتاجرات بأعراضهن من اللاتي لبسن اللباس غير المحتشم لغرض آخر من أغراضهن.

وعندما أخبرني إخواني بأن أولئك النساء على عريهن وقلة حيائهن لسن من العاهرات أخبروني أيضاً أن هذا الأمر ليس بالذي يعدونه خطيراً ولذلك لكثرته وشيوعه وتعاقب أجيال منهم على عدم استنكاره.

يوم الأربعاء ٢٩/١/١٤٠٥هـ ــ ٢٤/١٠/١٩٨٤م.

سياحة في نهر الأمازون:

أصبحت فرحاً بل طرباً لأنني سوف أذهب إلى سياحة في نهر الأمازون الذي طالما اشتقت إلى مجرد رؤيته.

وكان موعد الحضور لمكتب شركة السياحة واسمها(سلفاتور) ويقع بجانب فندقنا هوالثامنة والنصف وجاء الأخ (بدوي فقوسه) يسعى إلى الفندق وكان أخبرني أنه لابد له من أن يصحبني في هذه الرحلة من أجل راحتي، فشكرت له ذلك وأخبرته أنه يمكنني أن اذهب اليها وحدي حيث لابد من ان تكون بعض الايضاحات بالانكليزية ولكنه أبى ذلك وزاد أن حضر إلى هذا الصباح وهويحمل كيساً كبيراً من

اللدائن مملوأً فسألته عما فيه ؟ فأجاب انه غداء لنا، ان القوم من أكلة لحوم الخنزير فماذا لو طبخوا لحم خنزير مع الغداء أتظل بدون أكل ؟ فقلت له : إنني قد سألتهم أمس عن ذلك فأخبروني أن غداءهم سيكون من السمك في هذا اليوم.

فقال : اذا كان غداؤهم طيباً أكلنا ولايضرنا ماحملناه من غدائنا شيئاً. وتبين بعد ذلك ان الأخ بدوي كان نافعاً جداً لي في هذه السياحة لان معظم الكلام كان بالبرتغالية فكان يترجمه لي بالعربية.

من المقرر أن تكون مدة الجولة من التاسعة حتى الرابعة وأجرة الشخص الواحد أربعون ألف كروزيرو، اي مايعادل خمسة عشر دولاراً أمريكياً أو أربعة وخمسين ريالاً سعودياً ومن ضمن ذلك وجبة الغداء.

حملتنا سيارة للشركة قبل التاسعة بقليل رغم قرب المكان وهو الميناء الرئيسي أوالكبير كما يسميه بعضهم وهو جيد الأبنية، نظيف نسبياً رأينا فيه بواخر كبيرة راسية واخرى كثيرة تفرغ حمولتها فيه، وبعضها تشحن منه تعمل الرافعات الضخمة فيه بكثرة كأنها الرافعات الضخمة على الموانيء البحرية الكبيرة، مع أن نهر الأمازون هنا ليس هوالنهر بجميع روافده بل ان النهر الآخر الذي سينضم اليه بعد مسافة قصيرة وهو نهر سلمونس لم يرفده بعد وهو نهر كبير ايضاً ومن أهداف هذه السياحة الأمازونية مشاهدة امتزاج هذين النهرين الذين يصبحان نهراً واحداً يسمى (نهر الأمازون) وذلك على بعد ستة عشر كيلو مترا من مدينة (ماناوس).

وهذا النهر الذي عليه مدينة (ماناوس) يسمى النهر الأسود ويسمى الأمازون أيضاً كما سبق.

ومن الأشياء الجديرة بالملاحظة أنه في هذا النهر العظيم الزاخر بالمياه العذبة الذي يجري وسط اراض ندية بل مشبعة بالرطوبة والمياه فإن المرء يشاهد كما شاهدت البواخر وهي تفرغ حمولتها في هذا الميناء أنواعاً كثيرة من الخضروات بمقادير كبيرة ومن بينها الطماطم والبصل وانواع مما يطبخ من الخضروات مع الطعام وقد جاءت بها من أماكن نائية.

وذلك أن هذه المنطقة المائية العظيمة لا تنتج مايكفيها من الخضروات وانما تستورد ذلك من الخارج.

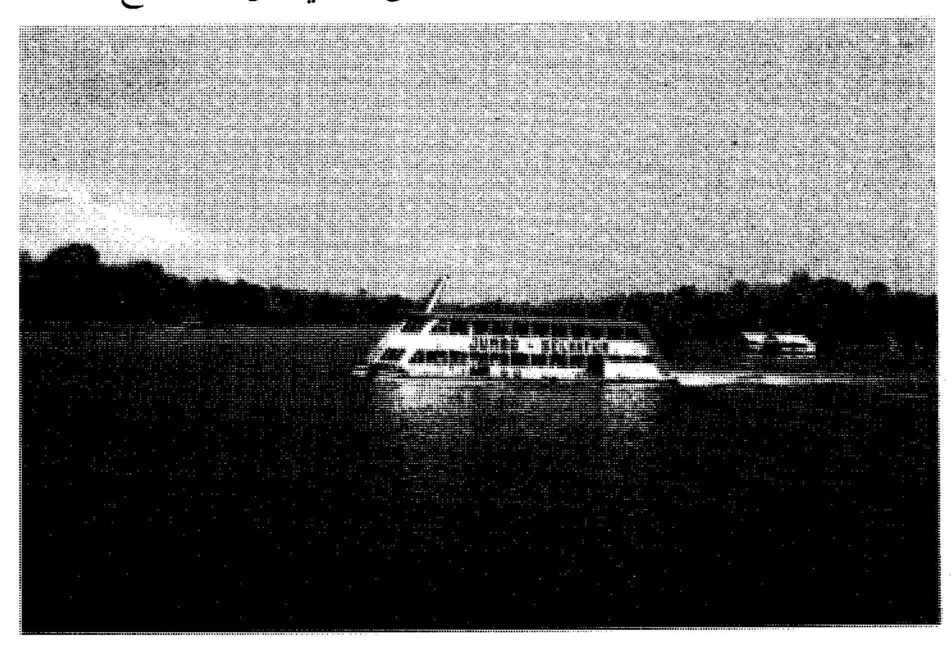
أخبرني احد الاخوة المقيمين هنا ان بعض الخضروات كالطماطم تنقل اليها بالطائرات من مسافات بعيدة كالتي تأتي من سان باولو على بعد الف وخمسمائة كيلو متر.

وهذا من العجائب التي سببها قلة البركة التي من أسبابها قلة العمل الجيد.

تحرك القارب السياحي الذي كتب عليه اسم الشركة التي تسيره وهو(سلفاتور) في هذا الميناء النهري المسمى (بورتو براس) الذي اذا رأيت البواخر راسية فيه خيل اليك انه بحر عميق وقد يساعدك على ذلك كون مياه النهر بنية اللون فتبدو على البعد كأنها المياه البحرية العميقة وقد اخبرونا ان هذا الميناء أقيم ما بين عامي ١٩٠٢م و ١٩٠٤م.

وكان تحرك القارب في الموعد المحدد لذلك من قبل وهو التاسعة.

وعندما توسط القارب النهر ورأيت ضفافه على الجانبين من ذلك الموقع تيقنت أنه



قارب الشركة السياحية في الأمازون

أعرض من نهر النيل عند مروره من القاهرة عدة مرات.

وكان أول ماتكلمت به الدليلة السياحية في القارب ان لفتت أنظار السياح إلى

أن هذه القوارب تنقل الناس من مدينة (ماناوس) إلى القرى والبلدان القريبة فالنقل النهري مهم في هذه المنطقة بسبب وجود الغابات المتشابكة فيها و يدل على ان النهر يستعمل في حركة النقل اكثر من غيره أننا شاهدنا بعض الفواكه الاستوائية كالباباى واليوسفي المحلي الأخضر طافية على النهر ساقطة من القوارب.

وكانت ضفاف النهر بعد مفارقة المدينة تتميز بوجود الخضرة وأشجار الغابات وإن كنا نرى على البعد تلة ربما كانت جزءاً من قرية أو ضاحية بعيدة من المدينة وعلى تلك التلة بيوت ذات سقوف من الصفيح مسنمة لكي تنزلق عنها الأمطار الكثيرة في هذه المنطقة.



ضفة معمورة في نهر الأمازون كما تبدو من القارب السياحي

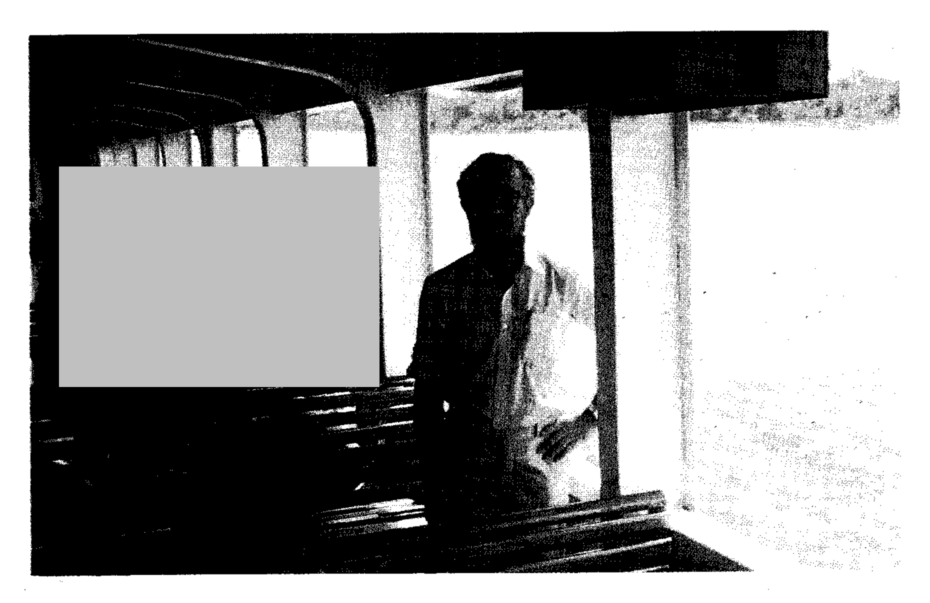
ورايت شعبة من النهر قد دخلت في منطقة الغابات لاأشك في أنها لكبرها لوكانت في غير هذه المنطقة المائية العظيمة لصارت نهراً مذكوراً بل مشهوراً.

ومن الطريف في أمر هذا النهر مما يدل على اتساعه وعلى كثرةالنقل على ظهره اننا رأينا محطات لبيع المحروقات التي تستعملها السفن والقوارب قد أقاموها على الماء طافية يشتري منها من يحتاج إلى وقود كما تكون المحطات على اليابسة الأ انها على

اليابسة تكون في الغالب على حواشي الطرق أو قريبة منها وهذه على صفحة اليم قد توسطت النهر. والباعة فيها مقيمون مثلها على النهر.

وقد تكررت بعد ذلك رؤية هذه المحطات فصورتها غير ان الشريط الذي صورتها عليه قد فسد مع الصور التي فيه.

ثم سار القارب في النهر ورأينا بيوتاً شعبية على ضفته الشرقية مؤلفة من ألواح خشبية مقامة على أرجل من الخشب لتقيها رطوبة الأرض وهي مسنمة السقوف كما تكون عليه مثيلاتها في البلاد المطيرة.



صورة التقطها الأخ بدوي فقوسة للمؤلف وهو واقف في القارب السياحي في نهر الأمازون

واخبرني أحد الركاب أن هناك سبباً آخر غير إتقاء الرطوبة يجعلهم يرفعونها عن الأرض على هذه الأعمدة الخشبية هو أن النهر تفيض مياهه في بعض الأعوام حتى تصل إلى المنطقة التي فيها هذه البيوت فتدخل من تحتها ولا تضرها بسبب رفعها عن الأرض.

وقد رأينا إلى جانب هذه البيوت التي تشد المرء إلى الزمن القديم شيئاً يجذبنا إلى العصر الحديث وهي مدخنة مصنع عالية ترى وهو تنفث الدخان الأبيض على البعد. وربما كانوا قد اقاموا هذا المصنع وأمثاله بالقرب من ضفة النهر من أجل

الإستفادة من مياه النهر في الصناعة.

ورأينا في الضفة اليسرى من النهر التي هى الشرقية(بلاجا) رملياً جميلاً للسباحة وكأنه (البلاج) على مياه البحر الملح.، وبقربه في منطقة من مناطق المياه النهرية العميقة باخرة قد ارست بالقرب من مصانع تنفث مداخنها دخاناً كثيفاً يظل واقفاً مدة طويلة لكثافة الرطوبة في هذه المنطقة التي تعتبر من مناطق الغابات الملتفة فَضْلاً عن عدم الرياح التي تبدد الدخان، وأخبرونا ان هذا المصنع هو لمعالجة القنب وصنع الحبال وغيرها منه.

وقد كان تركيزنا على الضفة اليسرى التي هي الشرقية لقربها منا بحيث كنا نميز ما نراه فيها بخلاف الضفة اليمني الثانية لأنها بعيدة بسبب عرض النهر واتساع مياهه.

وقد أخذ الركاب يسارعون لالتقاط الصور وهم كثر الا أنهم على كثرتهم لم يملأوا الا نصف المقاعد في هذا الزورق الكبير ذي الطبقتين.

وتكررت رؤية محطات بيع المحروقات طافية على مياه النهر تتزود منها المراكب والقوارب.

النهر ينبع من كولومبيا :

اخذت الدليلة السياحية في القارب تذيع من مكبر بجانب السائق بياناً وإيضاحاً عن الرحلة أكثره بالبرتغالية وأقله بإنكليزية ضعيفة.

فكان الأخ الكريم (بدوي فقوسه) يترجم لي بعض مايفوتني من الانكليزية ومايفهمه من البرتغالية التي تعتبر هي اللغة الرئيسية هنا لأنها لغة البلاد كلها.

قالت الدليلة: هذا النهر الذي هو نهر الأمازون ويعرف بالنهر الأسود لسواد مياهه ينبع أصله من جمهورية كولومبيا ويسير بسرعة كيلو متر واحد في الساعة. وان طوله من منبعه إلى هنا الف وخمسمائة كيلو متر.

واحياناً كانت الدليلة تشرح في كلامها بالاسبانية أيضاً لأن في القوم من أقطار أمريكا الجنوبية الأخرى التي تتكلم الإسبانية ومنها على سبيل المثال (جمهورية **كولومبيا**) التي ينبع هذا النهر منها.

وليس كونه ينبع منها أن مياهه كلها من كولومبيا بل إن أصله فقط هو من هناك وإلا فإن مياهه هي من البرازيل نفسها حيث تسقط أمطار غزيرة على المنطقة

فتمتلىء بالمياه وتصب فيه روافد صغيرة متعددة فترفد إلى أن تأتي اليه أنهار عدة أيضا، فتتحد به ومنها على سبيل المثال نهر سلمونس الذي سيمتزج به بعد قليل وتأتي بعض أصوله من بيرو والإكوادور.

والقوم هنا كلهم إلا من ندر من اللاتينيين سكان أمريكا الجنوبية الذين غلب اسمهم على من قاربوهم في اللون، وعايشوهم في امريكا الجنوبية حتى اكتسبوا الواناً تقترب من الوانهم وعادات مثل عاداتهم فضلاً عن لغتهم الاسبانية أو البرتغالية.

وقالت الدليلة: انه بعد نصف ساعة من الآن سنصل إلى موقع اقتران النهرين (النهر الاسود) و (نهر سلمونس) ونشاهد إمتزاجها بلونيهما المختلفين.

وكانت الساعة حين قولها هي التاسعة والنصف.

وواصلت حديثها عن الغابات في هذه المنطقة فقالت بهذه المناسبة : إن في البرازيل ستةملايين كيلو متر مربع من الغابات وقالت شيئا غريباً أيضاً وهي أن هذه الغابات تحتوي على ٣٥٪ من الاكسجين الموجود على سطح الكرة الأرضية وهذا شيء لم أفهمه.

العربية على نهر الأمازون :

لم تفارقنا لغتنا العربية هنا على أفواه إخواننا العرب المسلمين الساكنين على قلتهم العددية في هذه المنطقة، وإن كانت قيمتهم المتمثلة في المال وادارة الأعمال أكثر من قيمتهم العددية بكثير ناهبك بمكانة أسرة (الهواش) وحدها من الناحية المالية والسياسية.

ومع ذلك فقد رأينا على الضفه اليسرى للنهر مصفاة محلية للنفط قد وقفت بالقرب منها فوق مياه النهر باخرة أتت لافراغ حمولتها من النفط الخام ورأينا الأنابيب الضخمة ممتدة ما بين هذه الباخرة والمصفاة فقرأنا اسم الباخرة عليها بالعربية والحروف اللاتينية ونصه باللاتينية (عراقي ترانزفير) وإذا بها عراقية قد قطعت المحيط العظيم. ثم دخلت في مياه هذا النهر الضخم الأمازون لتفرغ حمولتها في هذه المصفاة النائية التي قالوا : إن من أهم ما تنتجه هنا غير الوقود المعتاد هو (البتروكيميائيات) التي تحتاج إليها هذه المنطقة بالذات.

والمهم في الأمر كون هذه المياه النهرية تتحمل ثقل هذه الباخرة الثقيلة، وكون

اللغة العربية بحروفها الجميلة قد شاهدناها منقوشة في هذه المنطقة من مناطق الغابات الأمازونية.

ثم اعترضتنا جزيرة في النهر فسلكنا طريقنا بجانبها والنهر متسع حتى مع وجود هذه الجزيرة وسطه وهي جزيرة غير مسكونة وإنما هي مكتظة بالغابات الملتفة.

ورأيت في هذا النهر قوارب صغيرة تقل الركاب وهي تسرع في سيرها أكثر من قاربنا الكبير كما تكون السيارات الصغيرة على اليابسة بالنسبة إلى الشاحنات الكبيرة.

وقالت الدليلة :إن اسم هذه الجزيرة (بوروماتا) ولم ألق لذلك كبيرًا بال، لأن ذلك ليس بالمهم عندي وإنما المهم أنني عند إطلالة من ناحية المركب وقد صرنا لانبعد كثيراً عن شاطيء هذه الجزيرة في منطقة أقل عمقاً في وسط النهر رأيت المياه تبدو في اللون على الشاطيء كأنها القهوة الخفيفة في بلادنا العربية. فهي بنية غير داكنة أما منظر المياه العميقة فإنه اسود ومنه اشتقت تسمية هذا النهر بالنهر الأسود.



طريق القوارب في إحدى شعاب نهر الأمازون

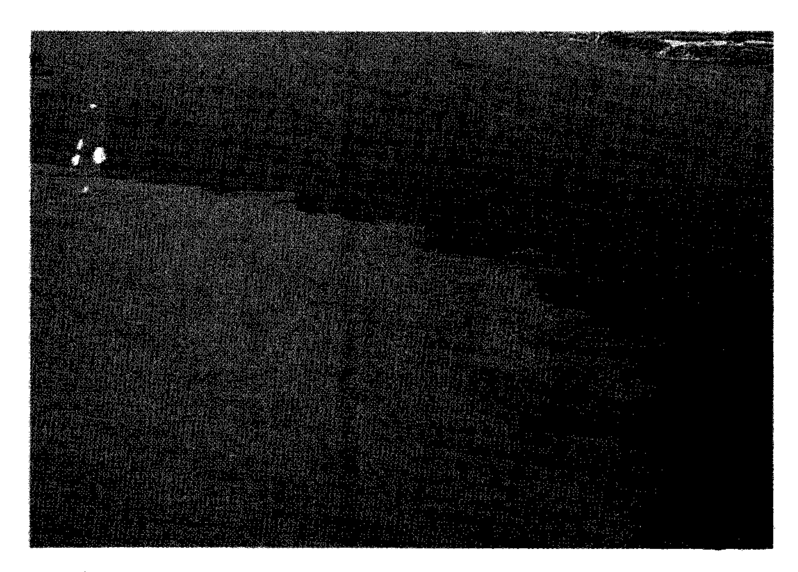
لاسيما بعد إرتفاع الشمس في السماء فقد ازداد سواد مياه النهر في رأي العين.
وعلى ذكر إرتفاع الشمس في السماء أذكر أن في هذا القارب الكبير متجراً صغيراً يبيع الأشياء التذكارية ومن أهمها قبعات كتب عليها ذكرى الأمازون، وهي ضرورية هنا، لأن القوم سينزلون عن القارب بعد حين ويسيرون تحت أشعة الشمس الاستوائية فيحتاجون إلى مايقي رؤسهم منها.

إقترب النهر من الضفة اليمنى التي كانت بعيدة عنا من قبل فإذا بها كلها منطقة غابات كثيفة ملتفة غير مسكونة أو هذا هو مانراه منها. اذ لم أر الامسكناً خشبياً واحداً أشبه بالكوخ على ضفة هذا النهر ولاأدري مايكون.

وقالت الدليلة وهي تشير إلى القوارب هنا: إن المواصلات المائية الآن هي المواصلات الرئيسية في هذه الولاية وقبل خمس وعشرين سنة لم يكن فيها طرق برية أصلاً مع أن مجموع سكان ولاية الأمازون هذه كان في السابق (مائة الف وخمسة الآف نسمة) ولكنهم الآن بعد المنطقة الحرة الحكومية بها قد أصبح عددهم مليوناً ونصفاً؟

امتزاج النهرين :

نوهت الدليلة بقرب امتزاج النهرين نهر سلمونس والنهر الأسود وقالت تواصل



ألتقاء النهر الأسود بنهر سلمونس

كلامها والقارب يقترب من الموضع وهو يسير بسرعته المعتادة: انظروا إلى إمتزاجها وإلى كيفية ذلك وإلى اللون المتميز لمياه كل واحد منهما عند الاقتراب وقبل الامتزاج وأشرأبت الأعناق وتطاولت الأجسام وهي تنحني على الماء، وتركز فيه النظرات. وإذا بالمنظر يستحق كل ذلك الاهتمام بالفعل اذ شاهدنا المنظر عجيباً يصعب وصفه.

وماشبهته الا بالحليب حينما يسكب على القوة وطبيعي أن الأمر هنا اعظم وأجل ولكن مياه نهر سلمونس يصح أن توصف بأنها كالحليب اذا صبت على مياه النهر الأسود التي هي كالقهوة.

ورأينا المياه السوداء تطفو في بعض المواقع وتختفى في مواقع أخرى وكأنها على البعد القطع من الزيت الغليظ الأسود الذي صب على الماء.



التقط المؤلف هذه الصورة لاختلاط النهرين

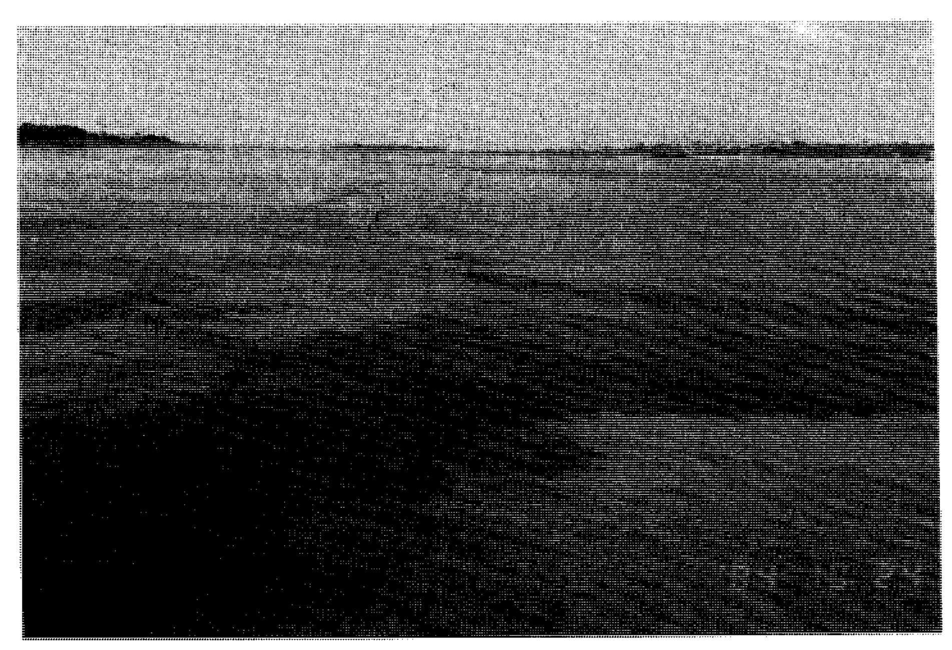
وقد أسرع الركاب في التقاط هذه الصور النادرة ولكن القارب كان يسير بسرعته المعتادة فلم نشف الغليل من ذلك وكانت مياه النهرين أيضاً تسير والاختلاط والامتزاج يقوى و يشتد بينهما حتى وصلنا نقطة ضاعت فيها مياه النهرين كليهما وأصبح منظر مياه هذا النهر العظيم الذي صار أكبر عظمة يعد امتزاج النهرين وهو نهر الأمازن

معتادة كأنها المياه المعتادة غير الصافية.

ولكن القارب الذي كان لم يقف أو يتمهل ليمتعنا وقتاً أطول بمشاهدة هذا التمازج بل التزاوج بين مياه النهرين قد عاد أدراجه وذلك لأن ذهابه في مياه النهر قد انتهى عند حد الامتزاج. ولكن هذا أفادنا أيضاً فأسرع الذين لم يصوروا في الأول يصورون وتمتعنا اكثر بالمنظر.

وقالت الدليلة وهي تشرح بعض أحوال هذين النهرين الذين أصبحا هنا نهراً واحداً : إن عرض نهر الأمازون هنا هو ستة كيلو مترات ولكنه أصبح بعد الإمتزاج بنهر سلمون ثمانية كيلو مترات.

وقالت : إن سرعة النهر زادت أيضاً بعد الاقتران لأن ازدياد كمية المياه يعطي ضغطاً أكثر على المجرى فتزيد السرعة فيه.



عند اختلاط النهرين في الأمازون

هذا وقد عدنا إلى مياه النهر الأسود وكأنما كنا نعود من حيث أتينا وإن كنا نقترب من الضفة الغربية التي هي اليمنى عندما بدأنا السير في النهر وهي الآن اليسرى لنا عند العودة وهي ضفة مليئة بالغابات الكثيفة المطبقة التي لا ترى فيها مما

يلي ضفة النهر عمارة حتى اقترب القارب أكثر من ضفة النهر.

وقالت الدليلة: إننا سوف ننزل وندخل في قلب غابات الأمازون الشهيرة ونرجو ان تستمتعوا بذلك، وبرؤية بعض السكان الهنود الأمريكيين الذين يعيشون هنا وهم من سكان البلاد الأصليين.

تقول هذا وهي نفسها من اللاتينيين نسبة إلى لغاتهم اللاتينية ـ الاأنها رغم ذلك قد تغير لونها قليلاً بسبب وجودها وآبائها من قبلها في هذا الجو الاستوائي أو القريب من ذلك بحيث تغير لونها إلى السمرة الواضحة التي تكسف اللون، وتمحو الإشراق من الوجه.

ثم مررنا ببيوت هندية قليلة على ضفة النهر مقامة من الخشب ذات اسقف مسنمة ولم نقف عندها، لأن قاربنا كبير لايستطيع الإلتصاق بالشاطيء الا في مراسٍ معينة تكون قد أعدت لذلك من قبل.

داخل الغابة :

أرسى قاربنا الكبير قبالة فرع من النهر العظيم داخل في الغابات الكثيفة ونادوا على الركاب بالنزول وكانوا قبل أن يسمحوا لهم بذلك يلبسونهم اطواق النجاة من



المؤلف عليه طوق النجاة في القارب السياحي

الغرق لأنهم سوف يركبون قوارب صغيرة كقوارب التجديف لايؤمن عليها الإنقلاب في الماء ومن ثم لايؤمن الغرق على ركابها اذا لم يكونوا قد البسوا أطواق النجاة التي تشد على الصدر بحبال فوق الرقبة وفي اسفل الظهر والبطن.

وقد اخبرونا والساعة الآن قد بلغت الحادية عشرة والنصف أن الغداء سيكون بعد العودة من هذه الرحلة إلى الغابة يقولون ذلك ونحن في الطابق الأدنى من القارب الذي كانت الموائد فيه منصوبة إستعداداً للغداء لأن المطعم فيه.

سارت القوارب الصغيرة المكشوفة التي كانوا قد قربوا منها عدة في كل واحد عشرة أشخاص تقريباً اذا امتلأ الواحد منها أركبوا فيه موظفاً من موظفي القارب السياحي الكبير وانطلق ثم تبعه الذي بعده حين يمتلىء بالركاب.



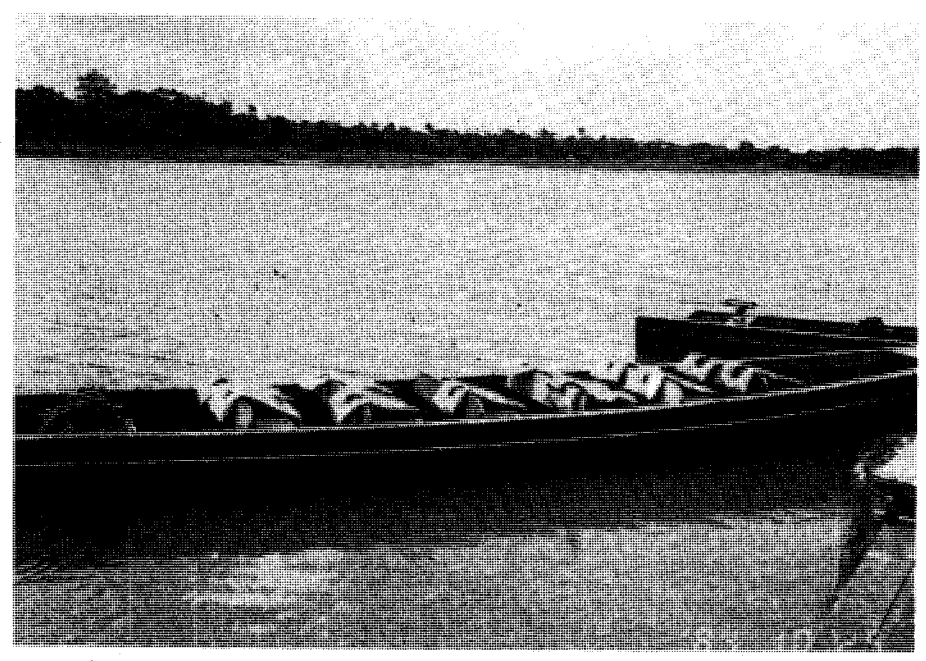
السياح في القوارب الصغيرة وعليهم أطواق النجاة متجهين إلى الغابة

سارت القوارب الصغيرة في جو شامس حار لأن الشمس استوائية، وكان الأخ (بدوي فقوسه) جزاه الله خيراً قد اشترى قبعة من حانوت في القارب مكتوباً عليها (تذكار الأمازون) واهداها إلىَّ للوقاية من الشمس، ولكنني لم احتج اليها لأنني كنت قد احضرت معي مظلة واقية من المطر أو (شمسية) كما نسميها نحن لأنه ليس

في بلادنا مطر كثير، فكنت أنا وهو وحدنا نستظل بشمسية من دون سائر الركاب الذين أصلتهم الشمس ناراً حامية الا من اتقى ذلك منها بقبعة عريضة.

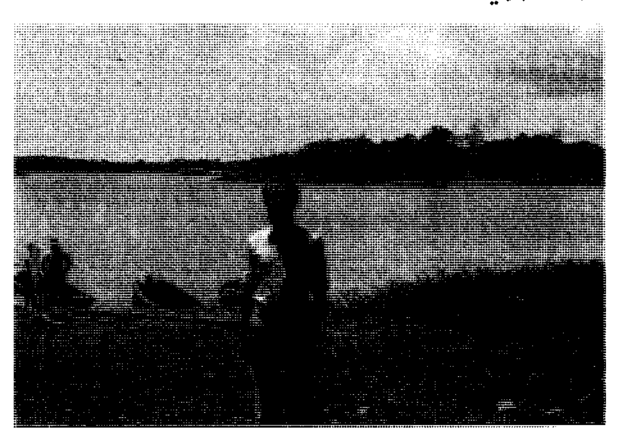
قطعنا النهر الرئيسي ثم دخلنا في شعبة يعتبرونها صغيرة من شعبه وهي أعرض من كثير من الأنهار الشهيرة في البلاد غير المطيرة فهي مثلا تساوي عرض نهر بردى في دمشق عشرين مرة وعلى ذلك فقس.

وكانت المنطقة منطقة غابات عذراء بكل ما في الكلمة من معنى فلم تمسها يد الإنسان بإفساد يسمونه الإصلاح. ولم يصبها تغيير بحيث لو بعث هندي من أهلها كان قد مات قبل خمسمائة سنة فإنني لاأظن أنه سيلاحظ فيها تغييراً اللهم إلا ما كان من أمر بعض التغيير في هذا النهر الصغير بالنسبة إلى نهر الأمازون الكبير من قوارب لها طابع الحداثة لأنها تسير بمحرك صغير يتحرك بالوقود، وإلاّ كوخ خشبي على ضفة النهر فيه مايشبه الملجأ من المطر والمقصف الخاص الصغير للسياح إذا وصلوا إلى هذه المنطقة وإلا بعض السلع الصغيرة التي تبيعها حفيداته او بنات أحفاده ــ إذا كان بالفعل قد مات قبل خمسمائة سنه وكان له أحفاد أو حفيدات.



القوارب الصغيرة راسية في النهر الفرعي وقد تركنا فيها أطواق النجاة

وبعد حوالي عشرة كيلات من السير داخل الفرع النهري أرست هذه القوارب الصغيرة على ضفته، ونزل الركاب قارباً قارباً على خشب وضعوه يسد الفجوة ما بين القارب واليابسة. فنزل الركاب مبتهجين.



المؤلف على مرسى القوارب الصغيرة في النهر الفرعي في الأمازون

وكان اول المستقبلين عند مدخل هذا القارب صبى وصبية من أطفال الهنود الأمريكيين مع كل واحد منهما حية قد امسك بها بإحدي يديه من رأسها حتى فغر فمها يتقي بذلك أن تلدغه. وهما يتكسبان بهذا المنظر من السياح فحملتها وصورتها صورة تذكارية ومنحتها ماتيسر من النقود وكذلك فعل بعض السياح.



طفلان من أطفال الهنود الامريكيين مع كل واحد منهما حية

وهذا الطفلان يشبهان السمر من الاندونيسين او التايلنديين لولا أن تقاطيعهما أرق من اولئك ومثل هذا باقي القوم هنا. وإن المرء ليتسائل عن العلاقة ما بين هؤلاء واولئك على تباعد الديارو تنائي الأقطار.



المؤلف يحمل طفلاً هندياً أمريكياً وطفلة معها حية

بين المؤلف والأخ بدوي فقوسة

وقد يكون الجواب مازعم بعضهم من أن أصل السكان الأمريكيين القدماء هؤلاء الذين يجمعهم اسم (هندي) وإن تفرقت صفاتهم فكانوا مثلاً في شمال امريكا (الهنود الحمر) وفي جنوبها (هنود الأنديز) وفي هذه الأماكن (هنود الأمازون) قد كانوا قد قدموا من شرق آسيا بالفعل في أزمان سحيقة عن طريق مضيق (بهرنج) تم انزاحوا جنوباً طلباً للدفء أو خوفاً من الأعداء أو حتى تحت ضغط الهنود الحمر الذي هم اقوى منهم أجساماً، واكثر عدائية أو قل أشد فتكاً.

ونترك هذا السؤال ممسكا بتلابيب الجواب ينتظر منه الأستيعاب في موضع في غير هذا الكتاب ونقول:

إن الدليلة جمعت السياح من القوارب الصغيرة وقادتهم إلى داخل الغابة التي لاتصل أشعة الشمس إلى اراضيها حتى لقد اعجزني التصوير في بعض الأحيان من مصورة ليس فيها ضوء.

وقد قطعوا فيها طريقاً لقدم الماشي لايتسع لأكثر من شخص واحد في الغالب،

وحتى هذا الممر للأقدام الذي خصصوه رأينا اغصاناً خضرا من الأشجار الكثيفة وهي تتطفل عليه تريد أن تغلق الطريق ربما لتبقى هذه الغابة مغلقة على بني الانسان كما كانت في الزمن السحيق.

ورأينا فيها الأشجار العادية اي البالغة في القدم نسبة إلى عاد وليس للأمر المعتاد ـــ وبعضها ضخم لايستطيع عشرون شخصاً قد امسكوا أيديهم واحداً بالآخر أن يستديروا على جذعها.

ومن ذلك واحدة قالت الدليلة : إن اسمها (كاستانا ارانا) وقالت : إن نوعاً معيناً من أسماك الأمازون يتغذى على أوراق هذه الشجرة بالذات التي تسقط في النهر. وهي كثيرة وفيرة. وقالت : إن هذه الشجرة أيضاً تنتج حبوباً تؤكل اذا نضجت كما يؤكل الفستق ولكنها غير وفيرة.

الشجرة العجيبة :

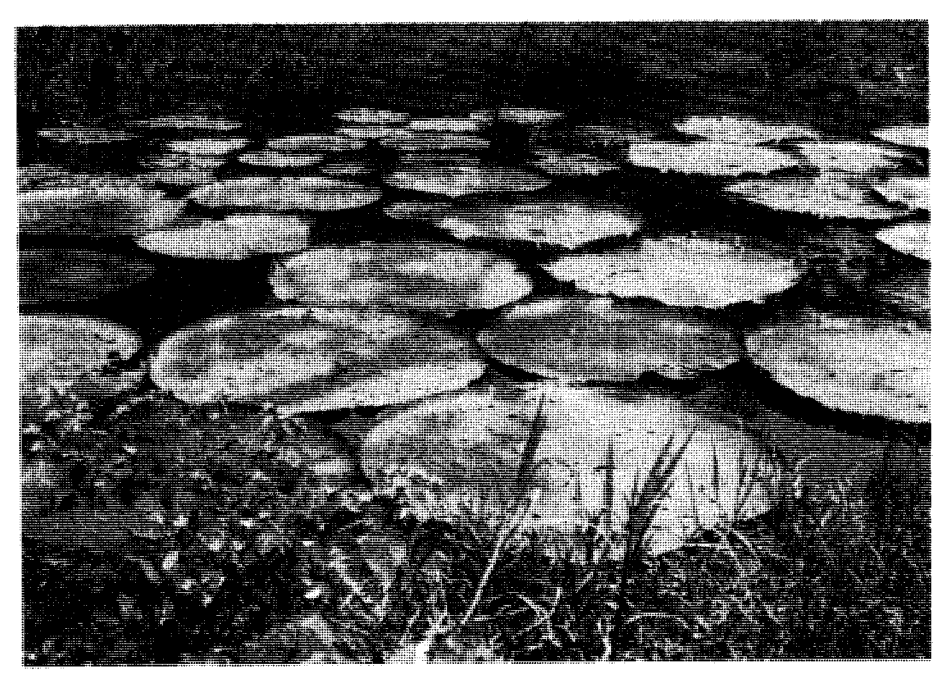
لاتكفي كلمة عجيبة لوصف أكثر هذه الأشجار المعمرة التي رأيناها في هذه الغابات الكثيفة المظلمة ومن ذلك شجرة ذكرت الدليلة ان اسمها (باراكوبا) وهي شجرة واحدة ولكنها أشبه بعدة شجرات، إذ يكاد يكون لها عدة سوق ـــ جمع ساق ـــ منفصل بعضها عن بعض في رأي العين على البعد متى تأملها الانسان وجدها كلها شجرة واحدة متصلاً بعضها ببعض.

وكان أشق ما على الماشي في بعض المواضع من الغابة وبخاصة أننا نرتدي أحذية كاملة هذه الأوراق التي كانت قد تساقطت على الأرض وركب بعضها بعضاً. من دون ان ترتكم وتقوى الأرض تحتها.

وهذه لها حكمة عظيمة وهي أنها مع كثرة الأمطار تتعفن فتكون بمثابة السماد للغابة وتكون الغابة بذلك إلى جانب ما يأتيها من ذرق الطير وروث الحيوان تسمد نفسها بنفسها، ولاتحتاج إلى سماد مجلوب.

وبينما كنا مستغرقين بالتفكير اذا بصوت مزعج لاندري ماكنهه، لأنه انطلق كالطلقة وما هو مثل صوت الطلقة فأخبرتنا الدليلة بأنه فرع كبير من شجرة عالية سقط وهذا صوت انكساره لثقله.

والزهرة العجيبة :



زهرة فيكتوريا ريجيا العجيبة في الأمازون كما صورها المؤلف

لم تقتصر العجائب في هذه الغابات الكثيفة على الأشجار، بل تعدتها إلى الأزهار فهذه زهرة تسمى (زهرة فيكتوريا ريجيا) وغرابتها في شكلها ثم في طريقة نموها فهى لا تكون الا في المستنقعات والمياه الدائمة وقالوا: إن الورقة الواحدة من ورقها الذي هو كالصحون الواسعة تزن ثلاثة كيلو جرامات وإن الزهرة تبقى ثلاثة أشهر. وأن ورقها يتفتح في النهار التماساً للشمس وينغلق في الليل.

وكنت رأيت زهرة شبيهة بها في مكان آخر من العالم بعيد عن هذه المنطقة وهو جزيرة مورشيوس في البحر الزنجي المسمى بالمحيط الهندي إلى الشرق من جزيرة مدغشقر.

هذا وقد احسسنا بالحشرات الكثيرة في الغابة لإظلامها، وإلتفاف اشجارها وقالت الدليلة: إن بعض الحشرات إذا حاول الانسان أن يبعدها عن جسمه فإنها تتابعه فلا تنهروها أو تحاولوا إبعادها.

وعلق على ذلك أحد السائحين فقال: لن نتركها تتغذى على دمائنا.

عود إلى الأشجار الغريبة :



المؤلف يستند إلى جذع شجرة ضخمة في قلب الغابة الأمازونية

بعد وقفة عند الزهرة العجيبة (فكتوريا ريجيا) سببها أن الزهرة في مستنقع قد وضعوا فوقه اخشاباً يمشي فوقها من يريد ان يقترب من الزهرة، وكلها لا تكفي للسائحين لذلك قسمتهم الدليلة إلى أقسام واحداً بعد الآخر. عادت الدليلة على طريق للأقدام آخر اكثر إظلاماً في الغابة لترينا عجائب أخرى من عجائب أشجارها فمرت بشجرة قالت : إن عروقها تمتد ستين متراً في التربة رغم أن الأرض ندبة ولكن الشجرة شرهة إلى الماء.

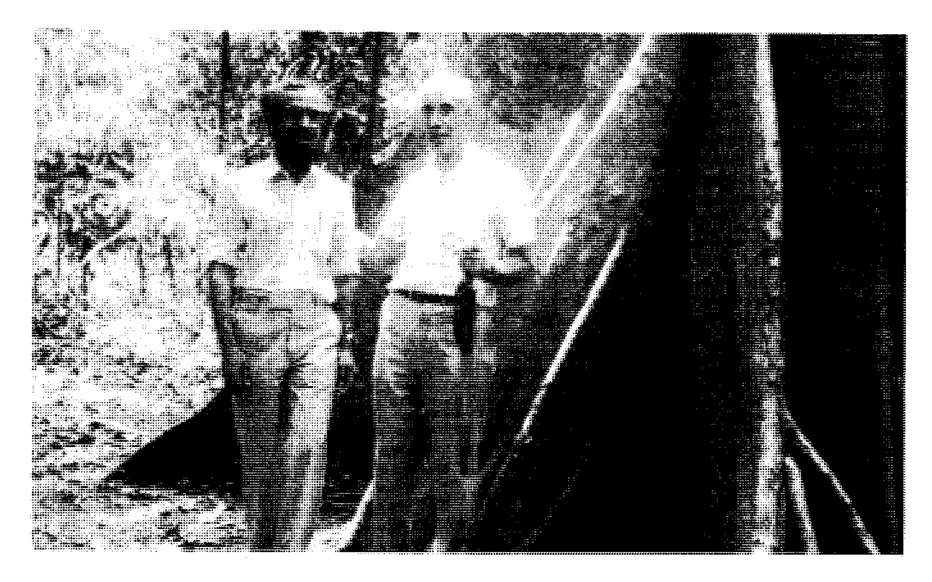
وشجرة أخرى ضخمة في جذعها أماكن داخلة شبيهة بالأركان الضيقة في الغرفة الصغيرة.

وشجرة أخرى عالية قالت : إنها تخرج عصيراً يشبه الحليب إذا اصاب عين الأنسان أعماها، وحذرت من لمس الشجرة ثم لمس العين بعدها لئلا يكون قد أصاب جذع الشجرة شيء من (حليبها) السام وذكرت ان اسم هذه الشجرة هو (أساكو).



المؤلف في ثنايا جذع شجرة ضخمـة

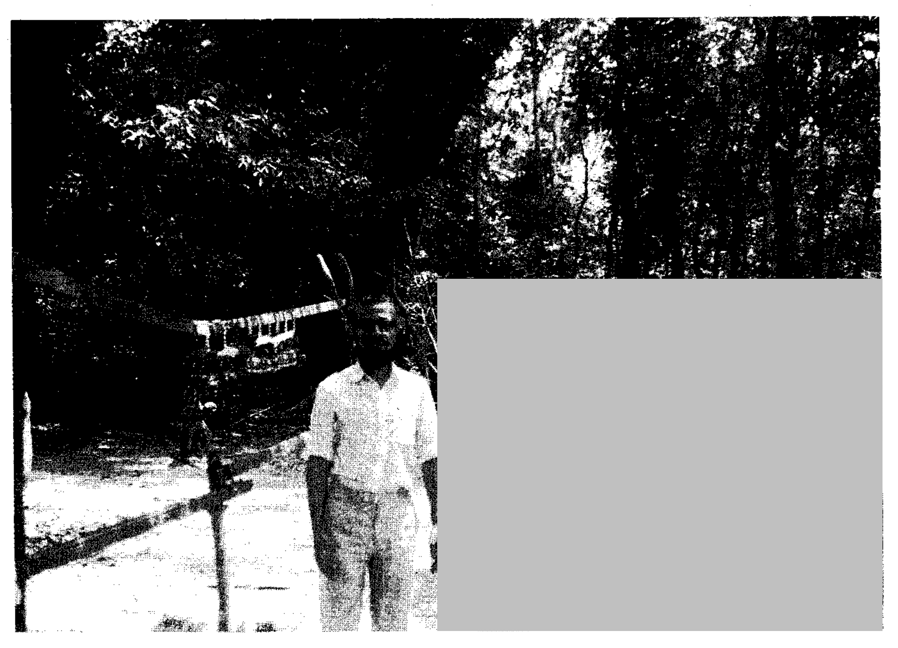
ويبلغ إرتفاع هذه الشجرة التي وقفنا عليها خمسة وعشرين متراً.



صورة تذكارية مع الأخ بدوي فقوسة في إحدى طيات الشجرة الأمازونية الضخمة

وقالت الدليلة وهي تنبه السائحين : إحذروا من الابتعاد عن هذا الطريق إلى داخل الغابة لأن فيها حيات كثيرة سامة!

ووصلنا قبل الخروج من الغابة إلى مكان متسع وجدنا طائفة من نساء الهنود الأمريكيين معهن بضائع بسيطة وبعضهن وجدناهن على شاطيء النهر قد علقن بضائعهن على حبال مربوطة بالاشجار.



بعض الهنود الأمريكين على مشارف الغابة الأمازونية وقد عرضوا بضائعهم

وبضائعهن البسيطة فيها القلائد والتماثيل التي صنعها الهنود في المنطقة وهي من خيالاتهم وأساطيرهم، ولعب من الخشب وقبعات منسوجة من أوراق أشجار معينة.

وقد لاحظت الدليلة السياحية أنني أكتب في بعض الأحيان في مذكرة صغيرة بيدي فسألت الأخ المرافق (بدوي فقوسة) عما اكتبه لانها تعرف أنني لا أحسن البرتغالية، لأنني قد استفهمتها عن بعض الأشياء بالانكليزية.

فأجابها بقوله: إنه كاتب يكتب مشاهدات، وينشرها في البلدان العربية وسوف تغري كتابته طائفة من قرائها بالمجيء إلى هنا فيكثر عندكم السياح فضحكت وقالت إنه يسرنا ذلك.

وبعد إنتهاء الجولة في الغابة التي خرج منها بعض السياح بلسعات متعددة من الحشرات ألهبت أطرافهم وبعضهم ليس عليه الا ملابس خفيفة فبان مكانها متورماً في أجسادهم جمعونا في كوخ خشبي مقام فوق ضفة النهر مما يلي الغابة على اخشاب قد ثبت فوقها تثبيتاً قالوا: إن السبب في ذلك انهم يستطيعون سحبه ونقله إلى مكان آخر إاذا ارادوا.

وفي هذا الكوخ قدموا الأشربة الغازية أو القهوة، لمن شاء من الركاب ضيافة من شركة السياحة.

العودة إلى نهر الأمازون :

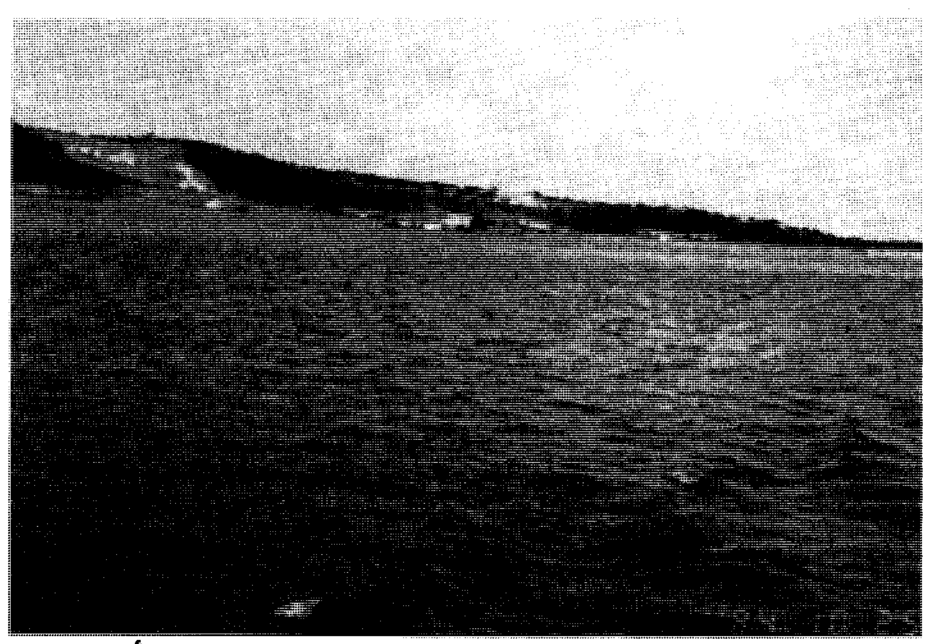
في الساعة الواحدة كانت هذه القوارب الصغيرة تنطلق من ضفة النهر تودع الغابة الكثيفة المظلمة والقلة من الهنود الذين وجدناهم على ضفة النهر وتعود إلى حيث القارب السياحي الكبير.

ومرة أخرى نفعني الله بالشمسية، وإلا فإن الجو كان صاحياً في هذه الظهيرة الاستوائية، وبخاصة ان الركاب كانوا يرتدون أطواق النجاة على صدورهم وقد احسسنا بها ثقيلة في هذا الحر.

وقد استغرقت هذه الرحلة الفرعية نسبة إلى كونها بدأت بالابحار من فرع نهر الأمازون، ونسبة إلى كونها متفرعة من الرحلة السياحية الرئيسية حوالي ساعة ونصف وعند الوصول إلى القارب الرئيسي وجدناهم قد أعدوا الغداء الذي يتألف بصفة رئيسية من سمك مقلي ورز محلي وسلطة خضراء نزرة وطحين مبلول بالماء على طريقة هندية كما اخبرونا.

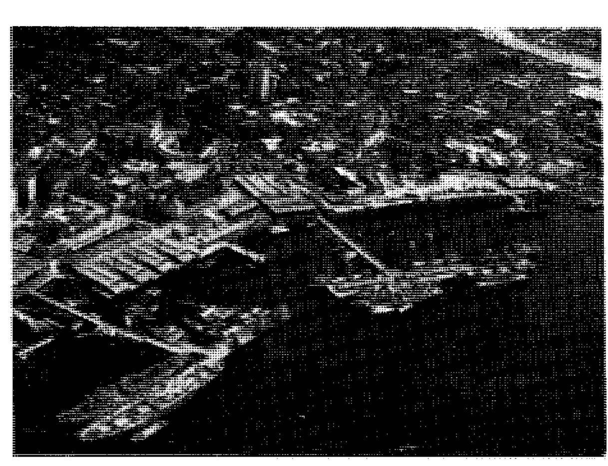
ولكننا رغم جوعنا لم نكن بحاجة إلى هذا الطعام لأن الأخ الكريم (بدوي فقوسة) قد احضر من بيته في (ماناوس) غداء آخر مؤلفاً من اللحم البقري الجيد والخبز المعتاد والسلطة المتنوعة وفاكهة متعددة ونوه بأن هذه البندورة (الطماطم) التي أحضرها قد جلبت إلى (ماناوس) من منطقة سان باولو بالطائرة.

فأكلنا هنيئاً ما طاب لنا من الغداءين وكان مع طعام القارب قهوة برازيلية حلوة. أما الشراب فإن المرء يستطيع أن يطلب منه مايريد بثمنه المعتدل. وقد طلبنا ماء معدنياً عرفناه يباع رخيصاً في البرازيل.



التقط المؤلف هذه الصورة أثناء العودة لشاطىء مرتفع معمور في الأمازون

هذا وبينما كان السياح يتناولون طعام الغداء في هذا القارب كان مجداً على النهر فكان الغداء على فرجة وتمشية في هذا النهر العظيم. وفي الساعة الثانية كان سرعان الناس قد فرغ من غدائه فتحرك القارب عائداً إلى (ماناوس). ووصلنا (ماناوس) في الرابعة والنصف عصراً.



مشهد من أعلى لميناء ماناوس
وجزء من المدينة متصل به

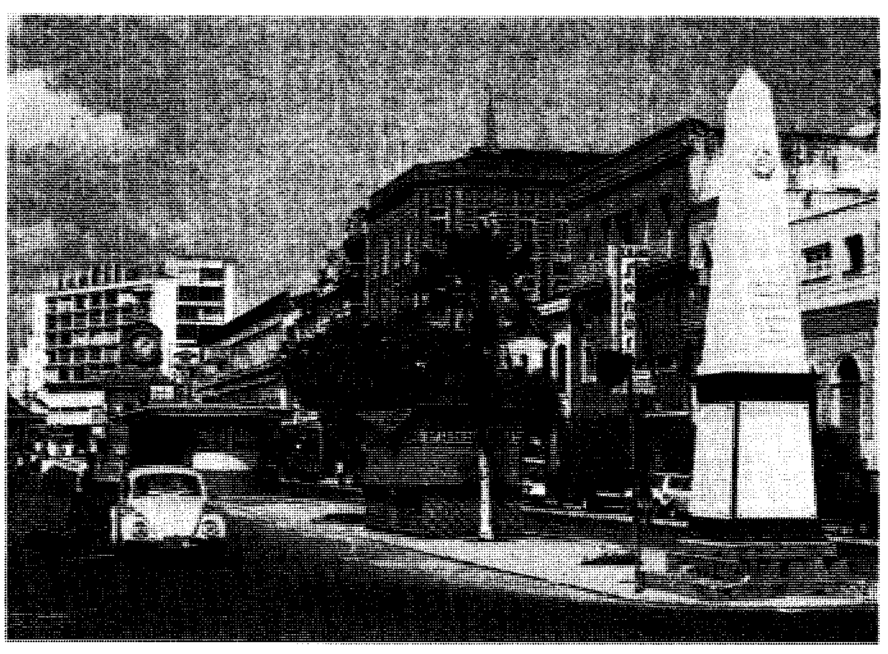
جولة أخرى في ماناوس :

معنى اسم (ماناوس) بلغة هنود الأمازون: الأمن السماوي. وقد أخبرنا إخواننا العرب أنها آمنة بالفعل فالبرازيل على وجه العموم آمنة وإن لم يكن ذلك بالصفة التي نعرفها في بلادنا التي لا تستطيع دولة أخرى في العالم أن تجاريها في الأمن والاطمئنان على الأنفس والاموال ولله الحمد.

وهذه المنطقة أوقل المدينة على وجه الخصوص هي من اكثر بلدان البرازيل أمناً رغم فقر بعض أهلها، وتدني دخول بعضهم.

ولذلك عندما سمعت معنى اسمها (الأمن السماوي) لم أستغرب ذلك لأن الواقع يصدق بعضه. وكانت هذه الجولة جولة مودع لذلك فضلناها بالسيارة لكونها أسرع والجولة بها أوسع.

وكان سائق السيارة هو صاحبها الأخ الثري (حسن الهواش) ومعنا الأخ الكريم المرافق (بدوي فقوسه) وشخص آخر فمرت السيارة أول الأمر في أحسن شارع في المدينة واسمه (اداوردو روبيرو) .

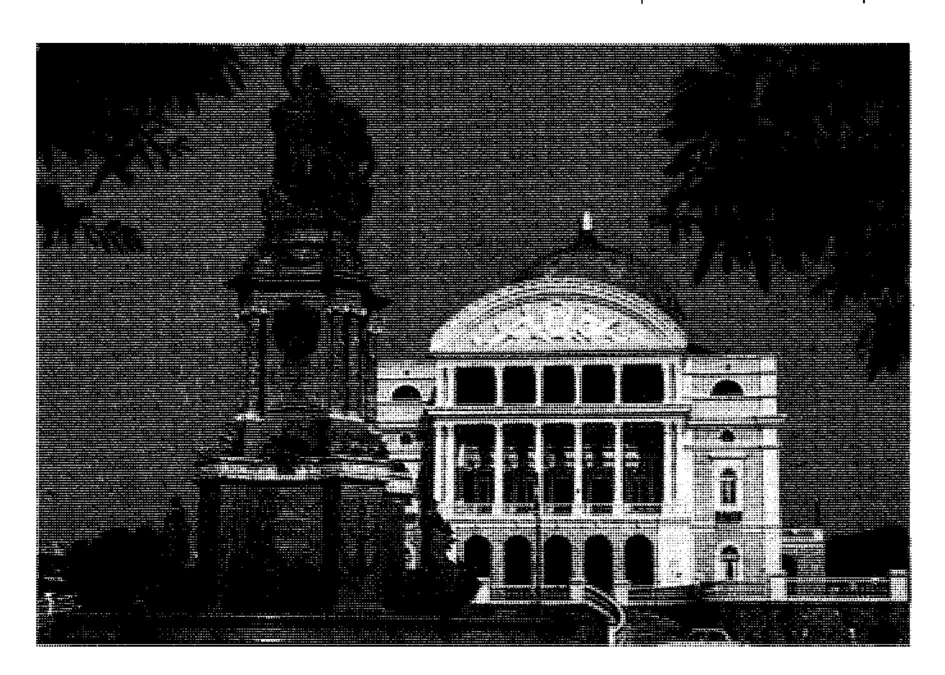


جزء من شارع إدواردو روبيرو في ماناوس

اشتياق العشاق :

مررنا بحديقة مهمة في البلدة قال الإخوة : إن اسمها حديقة (صودا دل) وأن معنى اسمها الإشتياق أو ذكرى المشتاق وقال احدهم : بل هي حديقة العشاق لأنها مكان اجتماع المحبين الذين لايخافون في الحب لومة لائم أو عذل عذول، وربما كانوا من الذين يصدق فيهم المثل: لاخوف من الله ولاحيا من خلق الله».

وما أكثر هؤلاء في هذه البلاد الواسعة : بلاد البرازيل. بل أخبرنا بعض إخواننا هنا أن القوم لايستحون مما يستحي منه الآخرون. هكذا ألفوا هذا الأمر ونشأ عليه صغيرهم وشب عليه كبيرهم.

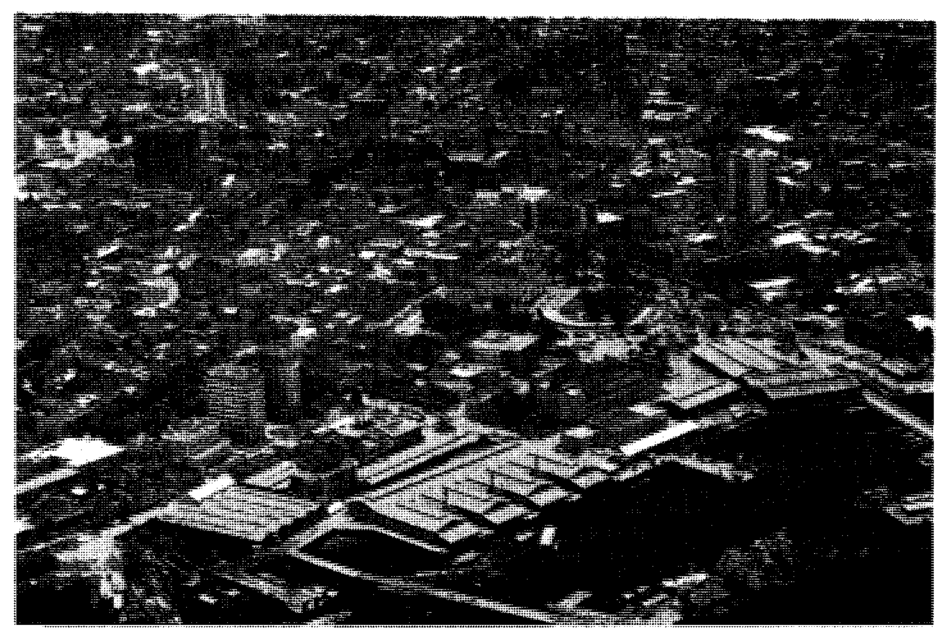


دار الفن المسرحي في ماناوس

ثم بحي (سان رايمون) وهو واقع على شاطيء نهر الأمازون المسمى بالنهر الأسود الذي تقع عليه مدينة (ماناوس) أغلب بيوته من طابقين مبنية بالاسمنت ما بين لبن أو مسلح بالحديد و بعضها ذو طلاء بهيج. وقل فيها ماتراه زري المنظر.

وقد رأيت الناس الذين يسيرون في هذا الحي على كونه حياً راقياً قد تخفوا من اللباس في هذا الجو الحار الرطب فكثير من الرجال قد اقتصروا على السروال القصير

وبعضهم عليه فوقه قميص ذو أكمام قصيرة وأما النساء فإن لباسهن مثل ذلك أو أخف.



أحياء قريبة من نهر الأمازون في ماناوس

ثم تجولنا في حي آخر يحف بقلب المدينة القديم اسم الشارع الرئيسي فيه : شارع (فريرا بنا) مستقيم الاتجاه لكنه غير مستقيم الأرض فتراه ينخفض تارة ويرتفع أخرى بحيث أن الذي يسير عليه مسرعاً بسيارته ترفعه السيارة وتخفضه ولابد له من ان يتمسك بجزء منها ليحفظ بقاءه في مقعده.

وهو يشق وسط المدينة ومع ذلك فإن البيوت التي عليه متوسطة وليست فاخره.

الغابة الصغيرة :

حتى لو تركنا الغابات الأمازونية المظلمة وحتى لو تركنا تخيل المساحة الشاسعة التي تغطيها غابات الأمازون التي لايستطيع أكثر الناس أن يصدق بسعتها وامتدادها فإن ذكر الغابة لايفارقنا في مدينة (ماناوس) عاصمة ولاية الأمازون. فقد وصلنا حياً شعبياً اسمه (ماتينيا) قالوا إن معناها: الغابة الصغيرة وذلك أن مكانه كان قبل بنائه غابة صغيرة.

وقد فتح آل الهواش الذين كان أحدهم مرافقنا حسن الهواش شارعاً فيه لأنهم يملكون أرضاً بجانبه وجزءاً منه.

كما أرونا مصنعاً لأكياس القنب الذي كانوا يزرعونه في المنطقة ويصنعون الأكياس منه في هذا المصنع الا أنهم كانوا قد باعوه ولا تزال أرض من أرض هذا الحي لهم.

ملوك الأمازون :

كنت قد سمعت أن اسرة (الهواش) هذه التي هي أسرة عربية سورية صميمة كان افرادها يسمون (ملوك الأمازون) وهذا في حد ذاته قد يعتبره العربي فخراً له يملأ أوداجه اذ أن الأمازون نفسه الذي استعصى على المالكين الأقدمين قد أصبح ملكاً لأسرة عربية وليس ملكاً فقط يسمى اهله (مالكي الأمازون) وإنما هو مملكة حسب هذا القول الرنان.

وعرفت السبب في ذلك من بعض الاخوة من العرب في العاصمة (برازيليا) وهذه المدينة (ماناوس) عاصمة ولاية الأمازون فذكروا أن أسرة الهواش كانت تسمى بالفعل (ملوك الأمازون) وذلك لما كانوا يملكون فيها من أراض وعقارات. ولما كانوا يسيطرون عليه فيها من مصانع ومزارع وما يتيح ذلك من نفوذ سياسي عظيم.

هذا كان قبل سنوات الا ان نكبة سياسية حلت بهم اذ اعتبرت الحكومة العسكرية أنهم ضد سياستها، فاضطهدتهم حتى تضررت تجارتهم وضعف نفوذهم، الاأنهم الآن اخذوا يستعيدون مجدهم القديم وماهم ورشحوا أنفسهم للمجلس النيابي ومن ذلك أن (سعدية الهواش) زوجة أكبر الاسرة قدراً وهو خالد الهواش قد رشحت نفسها لعضوية مجلس الشيوخ ومع أنها لم تنجح في الانتخابات فإن ذلك قوى من مركزها وتأمل في الانتصار على الخصوم والدخول إلى مجلس الشيوخ في محاولة قادمة.

وينبغي أن نتذكر هنا أن لهم الآن أكثر من ثلاثين محطة للتلفزة بما يعنيه ذلك من نفوذ سياسي واعلامي بحيث يخطب ودهم كثير من السياسيين والتجارالذين يريدون الاستفادة من الإعلان في محطاتهم التلفازية هذه.

وبهذه المناسبة مناسبة رؤية المصنع والحي والشارع الذي فتحوه ويقع كله على

فرع صغير من النهر سألت الأخ (حسن الهواش) عن السبب في تسميتهم بملوك الأمازون؟

فقال: إن ذلك لما كان لنا من نفوذ سياسي. ومن ثروة كبيرة وبسبب كثرة المؤسسات التي نديرها. وضرب مثالاً على ذلك بالزراعة فقال: إننا كنا نسلف ستة عشر ألف أسرة، ولايستطيعون أن يتصرفوا في الأمور المهمة الا بما نأمرهم به. وقال إن أكثرهم يزرعون القنب لنا فنأخذه منهم ونعطيهم مقابل ذلك عائدات مالية إضافة إلى السلفة التي تقوم عليها زراعتهم، ويعيشون هم وأسرهم على ماكنا نقدمه لهم.

وقال : إننا كنا في الماضي نحتكر زراعة القنب ومصانع الغزل والنسيج التي تحيله إلى خيوط وأكياس.

وبالقرب من مصنع القنب الذي كان مملوكاً لآل الهواش وقفنا على ضفة الفرع الصغير من النهر والتقطنا صوراً تذكارية بجوار نبتة من نبات القنب قد نبتت طفيلية وربما كانت بذرتها قد سقطت أثناء نقل القنب من فرع النهر إلى المصنع.

وإنتقلنا سيراً على الاقدام إلى حي مجاور لهذه الأرض في حي الغابة الصغيرة أو(ماتينيا) فرأينا مظاهر البؤس والفقر المدقع في بيوت خشبية رثه مرفوعة عن الأرض على دعائم من الخشب والأرض نفسها التي هي ضفة هذا الفرع من النهر وسخة تفوح منها روائح المجاري لان بعض المجاري في المدينة تصب في فرع هذا النهر الصغير الذي لا تستطيع مياهه أن تجرف معها مياه المجاري القذرة إلا عند نزول الامطار الغزيرة. وبعض البيوت مقامة من الصفيح. وفيها أطفال معتلو الصحة وأشخاص في ثياب قذرة حتى الكلاب التي فيه ذات مظهر زري ولقد رأيت كلبين مريضين.

وقال أحد المرافقين إن هذه البيوت مغصوبة أيضاً فهؤلاء الناس جاؤا إلى أرض لايملكونها على ضفة هذا الفرع الصغير من النهر فاقاموا هذه الأكواخ الخشبية وسكنوها، ولذلك لايستطيعون أن يتكلموا حتى في إبعاد هذه الروائح الخشبية من رياح المجاري التي يسكنون بجوارها.

محطة العبارات :

من هذا الحي الرديء القابض للنفس بسبب سؤ حالته، وخبث رائحته. ووجود شاهد بجانبه على مجد كان لأسرة عربية فزال بعضه إلى غيرها انتقلنا بالسيارة إلى

مكان آخر من ضواحي مدينة (ماناوس) بعيد وبهيج. هو شاطيء مرتفع على ضفة نهر الأمازون المسمى هنا بالنهر الأسود تتنقل العبارات منه إلى الضفة الأخرى المقابلة وهي الغربية تنقل الناس بسياراتهم حتى وبدوابهم إذا كان معهم دواب إلى الضفة الأخرى من النهر وما بعده من مدن وقرى منها المنطقة المسماه (منا كالبرو) التي تبعد عن ضفة هذا النهر ٥٥ كيلو متراً.

وهناك قوارب كثيرة العدد بل هائلة العدد مابين كبار وصغار قالوا إن بعضها يؤجر لمجرد التنزه في نهر الأمازون، وبعضها يؤجر للانتقال إلى اماكن بعيدة على ضفة النهرأو قريباً من ضفته.

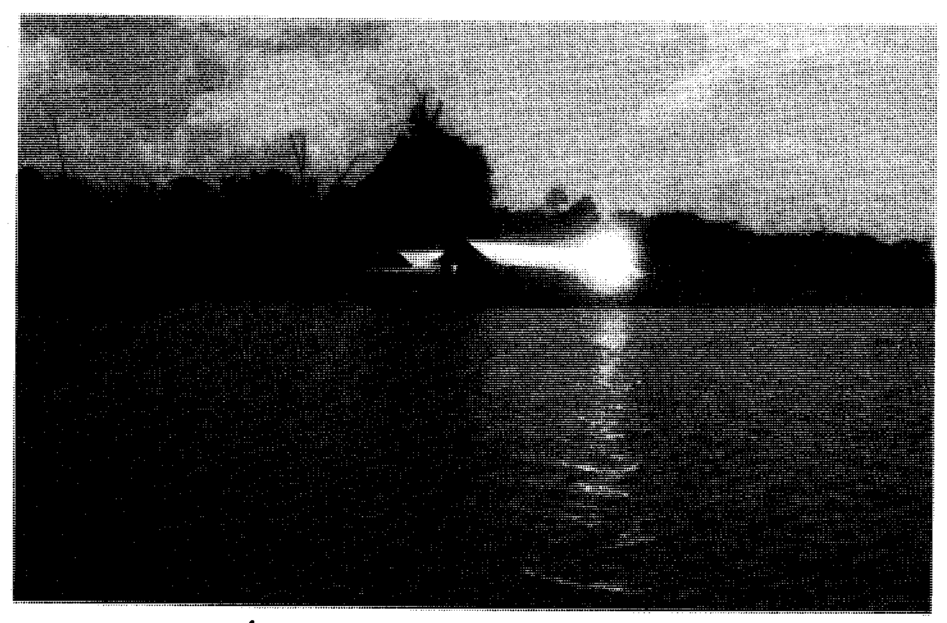
وقد يخرج بعضهم بها من النهر الأسود إلى نهر سلمونس الذي يلتقى بالنهر الاسود كما قدمت، أو قبل أن يلتقى به حيث يتركون القوارب هذه في النهر الأسود، فيسيرون في البر حتى يصلوا إلى نهر سلمونس فيركبون القوارب مرة أخرى فيه. ونهر سلمونس مشهور بكثرة الأسماك فيه وتنوعها. ولذلك يقصده هواة صيد الأسماك فيجمعون بين إشباع الرغبة في الصيد والحصول على مايتيسر لهم من سمك يستحق الصبر على صيده.

ورأيت على صفحة هذا النهر الأسود أرماثاً ضخمة من الأخشاب التي قرن بعضها ببعض تلقى في النهر وتنقل على سطحه بهذه الوسيلة إلى الأماكن المطلوبة.
وكلها قد قطعت من الغابات القريبة أو البعيدة المحيطة بالنهر.
واسم هذا الميناء والحي القريب منه (سانتو انطونيو).

الكنيسة التي بناها عربي :

عدنا إلى فندق (تروبكال) اكبر الفنادق في مدينة (ماناوس) وأفخرها وهو الواقع في النقطة السوداء، التي زرناها أمس وذلك لرؤية هذا الفندق ومشاهدة غروب الشمس وسقوط قرصها في نهر الأمازون لأننا الآن على وشك الغروب.

فمررنا في طريقنا بكنيسة صغيرة أخبرنا الإخوة المرافقون أن الذي بناها رجل مسيحي من حماة في سوريا من أسرة (أسيي) لايتذكرون اسمه بناها بنقوده لم يساعده احد على ذلك وعرّضت على الأخوة بهذه المناسبة لحالهم وكيف يبني مسيحي واحد كنيسة وبخاصة من السوريين الذين مذهبهم مخالف لمذهب المسيحيين في هذه البلاد



صورة التقطها المؤلف لغروب الشمس في نهر الأمازون

الذين هم من الكاثوليكين ولايبني واحد من المسلمين أو اكثر من واحد مسجداً للمسلمين!

وعند الدخول إلى الفندق أو (تروبكال هوتيل) وجدنا حارساً عند بابه ولافتة تقول:أبرز الهوية من فضلك. ولكنهم سمحوا بالمرور دون ذلك. فتجولنا في حديقة فيه واسعة لاشك في أنهم لن يجدوا صعوبة في ريها لكثرة الأمطار ومجاورتها لهذا النهر العظيم: نهر الأمازون.

وقد صارت الحديقة ملتفة لاتبعد في المنظر البعيد عن الغابات الا في التنسيق والتجميل.

ثم عدنا بعد الغروب بقليل إلى (ماناوس) على سيارة الأخ حسن الهواش التي تسير بالكحول بدلا من البنزين وهو الوقود الذي تعتبر البرازيل أول دولة في العالم تستعمله بتوسع وشمولية. وقد استفادوا من ذلك صناعة أخرى قائمة على قصب السكر بعد استخراج السكر منه الذي تصنع منه الكحول. ومن ذلك أن إزدهرت صناعة الورق المقوى (الكرتون) التي تصنع من قصب السكر وغيرها من الصناعات.

مغادرة ماناوس :

كنت قد سألت إدارة الفندق عما إذا كان يمكن أن ادفع اجرة يوم ونصف يوم ويكون النصف يوم هذا كما تقبل أكثر الفنادق العالمية لانه كان من المقرر أن اغادر الفندق في التاسعة وأن يكون قيام الطائرة من ماناوس في العاشرة والربع فطلب مني الموظف المسئول مهلة من الوقت يسأل فيها عن مدير الفندق الذي لم يكن موجوداً ثم عاد وقال إنهم لايعرفون هذا فدفعت لهم أجرة يومين كاملين.

وكان هذا غلطاً بصواب كما قال القدماء اذ حضر إليّ الاخوة المسلمون بعد ان كنت قد نزلت إلى قاعة الاستقبال في الفندق متهيئاً لمغادرته وأخبروني بأن الطائرة قد تأخرت في القيام وإن الشركة حددت موعداً جديداً لقيامها هو الثانية بعد منتصف الليل بديلة من العاشرة والربع.

وقالوا: إنه يمكنك أن تستريح في فندقك، بل أن تنام ونحن نوقظك في الوقت المناسب ونخرج بك.

ولم تكن هناك رحلة أخرى إلى برازيليا أو (سان باولو) فنمت بالفعل في الفندق حتى أيقظني هاتف منهم في الواحدة بعد منتصف الليل وحضر الأخ حسن الهواش وبدوي فقوسة وأخ فلسطيني اسمه معروف قالوا: انه سيسافر معك.

الحواجز الجمركية في الولاية :

كان أول مالفت نظري عندما وصلنا المطار أنهم يعاملون الخارج من ولاية الأمازون بما يعامل به الخارج من دولة ليس فيها رسوم جمركية ولاقيود على العملة. فقد كانوا يفحصون أمتعة الركاب ويفتشونهم تفتيشاً دقيقاً وكان الأخ الفلسطيني قد حملني شيئاً من النقود الأجنبية حصل عليها من ماناوس و يريد بها الذهاب إلى سان باولو.

والسبب في ذلك كون الولاية ذات وضع اقتصادي خاص قد جعلتها الحكومة منطقة حرة يباح فيها أن يباع بدون جمارك مالايباع في الولايات الأخرى من البرازيل.

وتذكرت بهذه المناسبة قولة قالها لي الأخ الغياني عندما استقبلني في مطار (ماناوس) فقد سألني عن عدد المصورات ــ آلات التصوير التي أحملها ــ وهو سؤال

لم يوجه إليّ حتى في جمرك (ريودي جانيرو) عند الوصول إلى البرازيل ولكن الجواز السياسي أعفاني من عناء التفتيش في الساعة المتأخرة من الليل وكان السهر والتعب قد تظاهرا على ان يجعلا الخضوع للتفتيش الدقيق مستكرهاً لدي في تلك اللحظة.

ثم دخلنا بسرعة إلى قاعة كبار الزوار (الصالون) وهم يشددون في دخولها فلا يدخلها أحد الابإذن من موظفة حازمة تعرف من يستحقون البقاء فيها من كبار الزوار والسياسيين وموظفي الدولة.

ومع ذلك لم تكن مقاعدها مريحة فهى كراس كلها مثل باقي أثاث الغرفة من الخشب الأملس والذي ملّسه الاستعمال الكثير فكان غير مريح للجلوس فضلاً عن الاسترخاء.

وقد حرصوا على أن يجعلوا الأثاث كله من الخشب لان منطقة ولاية الأمازون هذه هى ولاية الغابات وأكثر ما فيها الأخشاب.

إلى برازيليا :

سافر الأخ الفلسطيني قبلي بربع ساعة لأن حجزي كان على شركة أخرى هي شركة «ترانس برازيل» وهي شركة جيدة ذكروا أن من اوائل مؤسسيها قوما من العرب المسيحيين من ولاية (بارانا) وان كانت الآن قد أصبحت أكثرية اسهمها ليست لهم.

وكان الصعود إلى الطائرة في الثالثة صباحاً. فوجدتها من طراز بوينج ٧٦٧ وهي طائرة حديثة جداً كنت قد سمعت بأن شركة بوينج الأمريكية تقوم بصنعها ولكنني لم أعرف بأنها قد انتجتها بالفعل فلم أصادف الركوب في واحدة منها قبل ذلك مع كثرة سفري بالطائرات في أنحاء العالم.

وكان من الأشياء الجديدة هنا إن الإعلانات عن الرحلة والإرشادات المتعلقة بالسفر كلها تتم عن طريق شاشات للتلفاز في الطائرة.

وقد اختاروا مضيفات الطائرة من الشقراوات الحديثات العهد بالبرازيل وبالجواء جمع جو الاستوائية وماحولها بحيث لم يذهب العيش فيها نضارتهن فهذه الشركة تعتني بأن تكون مضيفاتها من هذا النوع كما رأيت ذلك أيضاً فيما بعد أكثر مما تفعله الشركات البرازيلية الأخرى.

إلى منطقة أمازونية أخرى

جلنا بعد الوصول إلى مدينة برازيليا في بعض مدن البرازيل والأرجنتين ثم عدنا إلى مدينة (ريودي جانيرو) في البرازيل لنسافر منها إلى مدينة (باراماريبو) عاصمة دولة (سورينام) ولكن الطائرة تأخرت في مدينة بيليم عاصمة ولاية بارا وهي واقعة في منطقة من مناطق الأمازون وإن تكن بعيدة عن المنطقة التي زرناها من قبل فكتبت في مذكراتي مايلي عن هذه المنطقة الأمازونية :

يوم السبت ١٤٠٥/٢/١٠هـ ١٩٨٤/١١/٣م

من ريودي جانيرو إلى بيليم :

غادرنا مطار (ريودي جانيرو) مع شركة كروزيرو البرازيلية في الساعة الرابعة إلا خمس دقائق عصراً على طائرة من طراز بوينج ٧٢٧ وكان قيامها متأخراً عن الموعد المحدد في الأصل خمساً وعشرين دقيقة.

وذلك في رحلة طويلة من المقرر أن تستمر حتى الساعة الرابعة من فجر يوم الأحد والمقرر ان تهبط هذه الطائرة في اربع مدن برازيلية رئيسية هي سلفادور ورصيفي وفورتا ليزا، وسان لويس، قبل أن تهبط في بيليم، ومن هناك تغادرها بل تغادر الأرض البرازيلية كلها حيث تنزل الطائرة في مطار غيانا الفرنسية ثم تواصل سفرها إلى مدينة (باراماريبو)عاصمة (سورينام).

وهذه رحلة طويلة مملة لأن أكثرها سيتم في الظلام اضافة إلى تكرار الهبوط والاقلاع من دون إطلاع على احوال البلاد ولكن لم نجد وسيلة للسفر إلى (سورينام) أيسر منها.

وكانت الطائرة مليئة بالركاب فارتفعت بسرعة فلم نتبين معالم الأرض تحتنا إلا أنها ظلت تطير غير بعيدة عن شاطيء المحيط الأطلسي وهي تتجه جهة الشمال.

أما الضيافة فإنها صحن من اللدائن فيه شريحتان من الخبز عليها الجبن ولحم الخنزير ومعها قطع صغيرة من البسكويت والكعك اللين (الكيك) وهما اللتان أكلتها وتركت الباقي ثم جاؤا بقهوتهم البرازيلية المحلاة بالسكر إلى حد الاسراف حتى يصعب على مثلي استساغتها.

وهي ضيافة غير مناسبة ومثلها المضيفات اللآتي يقدمنها فقد اختاروهن من

الخلاسيات وفيهن واحدة سوداء وذلك من أجل كون المنطقة الشمالية التي نتجه اليها من البرازيل يكثر فيها السمر والسود حسبما يظهر.

كان الجو صاحياً ولذلك استطعنا أن نرى في المنطقة تلالاً خضرا غير عالية تتكسر عليها أمواج المحيط الأطلسي.

وكانت جارتي في المقعد عجوزاً برازيلية من أصل إيطالي اسمها ماريا رأتني لم آكل لحم الخنزير فسألتني عن السبب في ذلك فأخبرتها بأنني مسلم وأن الاسلام يحرم أكل الخنزير في الوقت الذي يحل فيه اللحوم الطيبة الأخرى مثل لحم البقر والغنم والطيور الجيدة. فقالت : إنها لم تكن تعلم ذلك وإنها مسيحية لذلك تأكله. ثم قالت لي مجاملة : المسلم والمسيحي أصدقاء وربما تريد بذلك أنها غير متباعدين فخانتها لغتها لأنها لا تعرف من الإنكليزية الاكلمات قليلة وأنا لاأعرف من البرتغالية الا معرفة ضئيلة و(القليل من القليل قليل).

ورأيت نهراً يسرع منطلقاً من داخل القارة إلى المحيط فتضيع مياهه فيه كما يضيع المعروف عند اللئام.

ثم لججت الطائرة فوق المحيط فلم نعد نرى شيئا حتى بدأت الطائرة بالتدني نازلة إلى:

مطار سلفادور :

وقد أعلنت المضيفة بالبرتغالية ماظننته ذلك وإلا فإنه لا إعلان بلغة اخرى غيرها وقالت جارتي ماريا والطائرة تهم بالنزول: هنا في سلفادور ألوان الناس جميلة انهم ليسوا بيضاً ثم جمعت أطراف اصابع يدها وقبلتها شأن من يذكر شيئاً حسناً عندهم. وهذا من عجائب أهل هذه البلاد البرازيلية ان يعتبروا اللون الاسمر الحنطي هو اللون الأكثر جمالاً وربما كانت تقصد أيضاً استحسان اللون الأسود الذي يوجد بنسبة لابأس بها في مدينة سلفادور لأنها هي عاصمة ولاية (بهية) التي هي موطن الافريقيين الذين جلبهم البرتغاليون عبيداً ليستخدموهم في زراعة الأرض البرازيلية الواسعة التي اكتسبوها دون غيرهم.

ولكن لغة (ماريا) كما قدمت لا تبعد كثيراً عن لغة الخرس وهي الإشارة إذا قصرت العبارة.

كانت الطائرة تتدنى وهي فوق البحر لأن سلفادور واقعة على المحيط وبدت المدينة على البحر ثم داخلة في البر فوق تربة مابين البيضاء والحمراء بمعنى أن بعضها أبيض وبعضها أحمر.

وغير بعيد منها مناطق من الغابات ومساحات من المستنقعات ومع ذلك يرى المرء حتى في الغابات أبراج الكهرباء الضخمة وهي منطلقة إلى المدينة.

وعندما هبطت الطائرة على الأرض كانت الشمس قد غربت وصرنا لانرى شيئاً الا ان العمال الذي دخلوا لتنظيف الطائرة أو لإنزال الأمتعة كان اكثرهم من ذوي البشرة الداكنة واعلنوا أن على الركاب الذين سيواصلون سفرهم البقاء في الطائرة كما أفهمتني جارتي وقالت عندما استغربت كثرة ذوي البشرة غير البيضاء من العمال: إن البيض من الإنكليز أو الامريكيين غير طيبين.

ووقفت عند باب الطائرة لأستجلي مبنى المطار فوجدته من طابقين، ذا عقود تشبه العقود العربية.

إلى رصيفي

نهضت الطائرة من مطار سلفادور بعد ان لبثث فيه خمساً وثلاثين دقيقة قاصدة مدينة (رصيفي) وذلك في السادسة وعشر دقائق وقد صار الظلام دامساً خارج الطائرة واعلنوا أن مدة الطيران إلى رصيفي ستكون خمسين دقيقة وكانت ضيافتهم في هذه المرة كأساً من الشراب الخفيف وحبات من الفول السوداني قد وضعوها في كيس صغير وقد امتلأت الطائرة بالركاب.

بدت مدينة (رصيفي) عندما وصلتها الطائرة ذات أنوار ساطعة في مساحات شاسعة وبها شارع طويل متمد فيها وأنوار صفراء على شاطيء البحر. أما الشوارع الرئيسية في وسطها وهي التي تسمى (الهاي وي) وتكون أنوارها في المساء صفراء فإنها غير كثيرة.

وقد هبطنا في مطار (رصيفي) في السابعة وطلبوا كالعادة من الركاب العابرين أن يبقوا في الطائرة غير أنهم في هذه المرة أبطأوا وهم يهيئون سريراً لمريض على صفين من الكراسي في أحد جانبي الطائرة ثم جاؤا به محمولاً على نقالة وهو بين الموت والحياة وربما كان للموت أقرب وذكروا بعد ذلك أنه مريض بالقلب حملوه من

رصيفي إلى مدينة (سان لويس) لتجرى له عملية في القلب هناك لأن فيها مستشفى مشهوراً لجراحة القلب ويظهر انه ثري كبير إذ صحبه طبيبان يتناوبان ملاحظته وكانا طول الطريق يضعان المسماع على قلبه ويراقبان حالته.

ثم قامت الطائرة في الثامنة الا خمس دقائق بعد أن قضت قرابة الساعة في مطار رصيفي قاصدة مطار (فورتاليزا) وهي مدينة شمالية أخرى من مدن البرازيل لأننا متوجهون جهة الشمال كما قدمت.

وأنفقت الطائرة خمسين دقيقة أخرى قبل أن تهبط في مطار فورتاليزا.

وقالت جارتي العجوز ماريا إنني أسكن في هذه المدينة وإن زوجي وأولادي ينتظرونني في المطار إنني أحب (فورتاليزا) فهي جميلة وأهلها طيبون.

وباتت أنوار المدينة على البعد متوسطة الإنارة الا أنها ممتدة مما يعطي انطباعاً بأن المدينة واسعة.

ويبدو من أنوار شوارعها وإستقامتها أنها مخططه تخطيطاً جيداً.

وركب ركاب جدد كادت تمتليء بهم الطائرة وأكثرهم من البيض مما يعطي انطباعاً بأن أكثر سكان (فورتاليزا) بيض وان نسبة البيض بين أهلها اكثر من نسبتهم في سلفادور.

إلى (سان لويس):

نهضت الطائرة من فورتاليزا قاصدة (سان لويس) وقد بلغت الساعة التاسعة والثلث والمؤسف أن جميع الاعلانات في الطائرة هي باللغة البرتغالية التي لانفهمها وكانت جارتي العجوز توضح بعضها قبل أن تنزل. ولم أجد بقربي في الطائرة من يعرف شيئاً من الإنكليزية.

وقدموا ضيافة قليلة لم انظر فيها لأنها لاتخلو من لحم الخنزير الذي يضعونه في العادة حتى في السلطة.

ثم ظهرت مدينة (سان لويس) في هذا الليل البهيم خافتة الانوار غير واضحة المساحة ربما من أجل كون الوقت وقت النوم لكثير من الناس الذين ينامون مبكرين.

ثم كان الهبوط في مطار (سان لويس) في العاشرة والثلث بعد طيران دام ساعة كاملة.

ثم غـادرت الـطـائرة مطار (سان لويس) في الحادية عشرة الا عشر دقائق بعد أن لبثنا فيه نصف ساعة.

في مطار بيليم :

بـعـد أن مـضـت خمس وأربعون دقيقة من الطيران هبطت الطائرة في مطار مدينة بيليم التي نقصدها وذلك في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين.

وقـد بـدت بـيـليم في الجو متسعة المساحة مشرقة الأنوار وكان من المقرر أن نسافر في الثانية عشرة والنصف من هذه الليلة إلى مدينة (بارا ماريبو) عاصمة سورينام لـذلـك أسرعـنـا إلـى مـكـاتب الترحيل فلم نجد حركة تدل على ذلك. وقالت إحدي مـوظـفـات الترحيل التي تعرف قليلاً عن الإنكليزية : سفركم غداً. إلا أنها لم تستطع أن تـوضـح أكثر مـن ذلك، فأخذتنا إلى موظف يعرف الإنكليزية فأفهمناأن سفرنا في اللـيلة القابلة وليس هذه الليلة وأن الذين حجزوا لنا في (ريودي جانيرو) ربما ذكروا لنا موعداً آخر لقيام الطائرة. أو اننا لم نفهم منهم ذلك.

وكانت هذه غلطة بصواب فبقاؤنا ليوم واحد في مدينة (بيليم) البرازيلية الشمالية الـنـائـية يضيف إلى معلوماتي عن البرازيل اضافة جيدة وفي الوقت نفسه نستطيع أن نـسـتـريـح مـن عـنـاء الـسـفـر المـتواصل في الليل حيث لايستطيع المسافر أن يستمتع بالمشاهد، ولايرى معالم المنطقة التي يطير فوقها.

سألنا الموظف عن فندق نذهب إليه في هذه الليلة فأشار إلى لافتة مكتوب عليها بـالـبرتغالية مامعناه ان فندق (نوفوتيل) يخفض الأجرة ٢٥٪ ويوصل الراغب في نزول الـفـنـدق بالسيارة مجاناً فأسرعنا نحجز فيه بل أسرعنا نغادر المطار على سيارة أجرة دفع موظف مختص بالمطار أجرتها عن الفندق وتبين لنا بعد ذلك أنها خمسة الآف كروزيرو أي حوالي دولارين أمريكيين.

في مدينة بيليم :

نـزلـنـا فـي الـفـنـدق وفـرغـنـا من وضع أمتعتنا في الغرف وقد نيفت الساعة على الـثـانـيـة عشرة بعد منتصف الليل ولكننا كنا قد وطدنا أنفسنا على الصبر على السهر هـذه الـلـيـلـة قبل أن نعلم بتوقفنا في هذه المدينة وشربنا من القهوة البرازيلية ما يطرد

النوم عن العيون، لذلك لم نكن نشعر بالحاجة إلى النوم إضافة إلى أن هذه الزيارة غير المحتسبة أعطتنا دفعة من النشاط فخرجنا من الفندق نتمشى على أقدامنا ولم نر كثير حركة ماعدا شباباً وشابات سمر الوجوه بل فيهم سود كثير يمرون كأنما عادوا من سهرة أو سهرات صاخبة لأن الليلة هي التى يسفر صباحها عن يوم الأحد وهي ليلة ينتهزها العمال والموظفون ومن في طبقتهم ليلهوا ويلعبوا حتى يقضوا جزءاً من يوم الاحد في النوم.

كان الجو حاراً رطباً والمناظر كلها توحي بأننا في أرض استوائية وبخاصة اذا نظر المرء إلى البيوت التى يبدو بعضها مبنياً من الخشب وتخفف القوم من اللباس بحيث لايزيد على قميص قصير الكمين وسروال قصير (تبان).

جولة بعد منتصف الليل :

لم نطمئن إلى مواصلة السير في هذا الشارع فعدنا إلى الفندق ووجدنا عند بوابته سائق سيارة أجرة من النوع الصغير الذي أصله السيارة الشعبية الألمانية (فولكس فاجن) وهو يصنع في البرازيل وقد أخذ يتقلص صنعه الآن وكان السائق يتحدث مع حارس عند باب الفندق فعرض أن يحملنا في جولة على قلب المدينة تستمر ماشئنا من الوقت بخمسة الآف كروزيرو أي دولارين امريكيين.

ركبنا معه فجال بنا في أسواق المدينة التي رأينا أكثر حوانيتها مغلقاً ماعدا بعض المطاعم الشعبية والمشارب ورأينا المارة هنا أكثرهم سود أو سمر إلى حد السواد وتبين بعد ذلك أن اهل البلد ليسوا كلهم كذلك وان فيهم عدداً من ذوي الأصول الأوروبية وان كانوا قد تغيرت الوانهم. إلاأنهم لم يكونوا يتجولون في الشوارع في تلك الساعة.

ولم نجد من المستساغ أن ننزل ونتمشى على الارجل في هذه الساعة من الليل وبخاصة عندما لاحظنا أن بعض المارة الموجودين في الشوارع هم من الأوباش الثملين. فطلبنا من السائق أن يعود بنا إلى الفندق وذلك بالاشارة وكلمات معدودة بالبرتغالية ولكنه لم يشأ ذلك على عادتهم في عدم استغلال الغريب وأن تكون أجرته في مقابل شيء فذهب بنا إلى مشرب شعبي عام سمعنا الموسيقى الصاخبة داخله قبل ان نصله ورأينا أفواج الناس وأكثرهم من النساء داخلين وخارجين من بابه وإذا

به وهو مشرب أشبه مايكون بالملهى غير أن بابه مفتوح وليس على دخوله رسم.

وقفنا عند بابه اذ لم نجد ما يحدونا إلى الدخول فالناس حوله كثير وسيارات الأجرة الصغيرة مثل التي معنا كثيرة هنا. عندما ترجلنا وذهب السائق ليوقف سيارته إجتمع علينا عدد من الموجودين فسائقو سيارات الأجرة يعرضون خدماتهم وفهمنا أنهم أحضروها في الاصل لينقلوا فيها الناس زوحين، زوجين وذلك عندما رأتنا إحداهن وليست بالبغي فيما ظهر من امرها وفيما أخبرنا موظف في الفندق عن أمثالها بعد ذلك تلمح ثم تصرح أنها على استعداد للذهاب ولما اعتذرنا تقربت ثم اقتربت حتى كادت تمسك بالرجل إمساكاً ولم نستطع منها فكاكاً حتى استعنا بالسائق الذي أفهمها اننا مسافرون قدمنا الآن وسنسافر غداً ومحتاجون للنوم ولانحتاج لصحبة أحد.

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

ولما كان في يوم الأحد : ١٤٠٥/٢/١١هـ ١٩٨٤/١١/٤م لم نتأخر في النهوض من الفراش في الصباح رغم السهر الطويل وذلك من أجل أن ندرك قيام الجولة السياحية الوحيدة في هذا اليوم الذي يعد يوم العطلة الأسبوعية وهو يوم لا ترغب الشركات السياحية في إكثار الجولات فيه لأن ذلك يلزمها بدفع أجور إضافية لموظفيها.

فكان الإفطار السريع في الفندق الذي جعلوه داخلاً في أجرة الفندق في جميع أنحاء البرازيل التى زرتها، فلا يوجد منها فندق يتقاضى شيئاً عن طعام الإفطار مع أنهم يعنون به عناية كاملة فيضعون الفواكه المتنوعة والأشربة المتعددة والاجبان المختلفة إضافة إلى بعض اللحوم التي أهمها عندهم ذلك اللحم الحرام: لحم الخنزير ثم الشاي والقهوة بطبيعةالحال.

كل ذلك يقدمونه معروضاً على الموائد الكبيرة فيما أصبح يعرف عنه العامة (البوفيه) ثم قطعنا التذاكر للجولة السياحية وظلنا ننتظر مرور الحافلة.

الجولة السياحية :

هذا اليوم هو الوحيد بل هو اليتيم لنا في هذه المدينة البرازيلية القصية التي لاينتظر المرء منا أن يزورها مرة أخرى لذلك رأينا أن نشغله كله بالتجول فيها مع

إحدى الجولات السياحية التي تقدم الكثير من المعلومات في القليل من الوقت غير أنهم أخبرونا أنه لا توجد هذا اليوم الا جولة سياحية واحدة وهي نهرية ريفية وليست في داخل المدينة.

ومرت الحافلة بنا، ولكنها لم تركبنا كما كنا نظن، بل أفرغت حمولتها من الركاب في فناء فندقنا وأخذونا معهم لأنه تبين أن النقطة التي ننطلق منها هي ميناء للقوارب على ضفة النهر واقع بجانب فندقنا مباشرة

النهر الباكي :

بدأت الجولة بسير القارب في التاسعة من هذا الصباح وكان من المقرر أن تكون في الثامنة والنصف فصار الدليل وهو من المختلطين مابين الأوربيين والمختلطين من المواطنين فبدا لونه في لون أعراب الصحراء وان كان لتقاسيم وجهه صفة بل صفات أخرى صار يشرح مانمر به باللغة البرتغالية لأن أكثر الذين معنا هم من أهل البرازيل وإن كان فيهم عدد من الغرباء غير أنه تبين أنه لايحسن الإنكليزية أو أنه لايريد أن يكلف نفسه عناء الشرح بها وكان من بين رفاق الجولة عجوز اظنها امريكية شمالية أو امريكية جنوبية عاشت في الشمالية حتى أتقنت الانكليزية في هذه البلاد التي لايوجد فيها من يتكلمون بالانكليزية فصارت هذه العجوز تشرح لأصحابها بالانكليزية مايقوله الدليل بالبرتغالية الذي كان يتكلم أحياناً بالاسبانية.

أما نحن فتطفلت آذاننا على هذه العجوز فصرنا نسترق السمع ثم صرنا نسابق القوم إلى الاستفهام عما لانفهم من الكلام فكانت تطرب لهذه الوظيفة التي لم تكلفها الا مؤونة خفيفة.

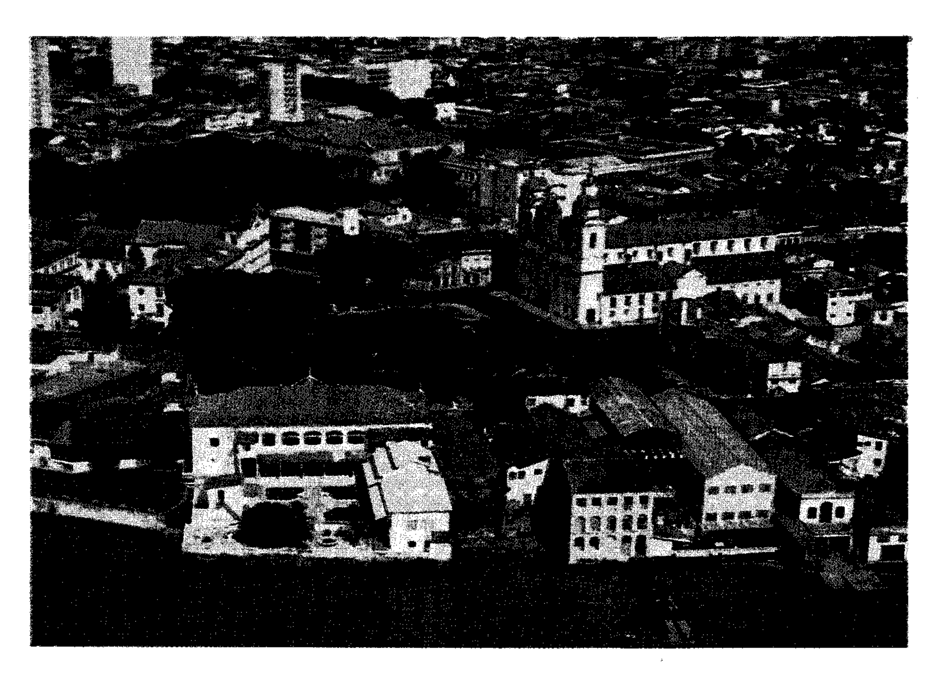
قال الدليل فيما ترجمته لنا المترجمة الإنكليزية هذا النهر اسمه هندي و يريد بذلك أن هنديته امريكية (أقواماً) ومعنى الاسم :(النهر الباكي) ولا أدري إن كان المقصود بذلك أنه نهر بكي أو يبكي نفسه أم انه حصل فيه أوحوله مايدعو إلى إبكاء الساكنين فسمي بهذا الاسم كما أسمى الماليون ــ اهل مالي ــ نهراً صغيراً بجانب مدينة (باماكو) العاصمة بنهر البكاء والعويل.

وقال: إن طول النهر يبلغ مائة وستين ميلاً وأنه رغم كونه واقعاً في منطقة الأمازون فإنه لاعلاقة له بنهر الأمازون العظيم وإنما هو نهر آخر فهذه المدينة (بيليم) تبعد مايقارب الفي كيلو متر عن مدينة ماناوس عاصمة ولاية الأمازون.

وهذا شاهد من شواهد كثيرة على كثرة الأنهار ووفرة المياه في هذه البلاد الواسعة: بلاد البرازيل.

إنحدر الزورق مع النهر على ضفته اليمنى قوارب متعددة واقفة فهي تستعمل وسيلة للإنتقال إلى جانب التنزه والتمتع. ومنازل غير جيدة وعلى الضفة اليسرى البعيدة غابات كثيفة تشبه غابات الأمازون وقلت : الضفة اليسرى البعيدة لأن النهر متسع بحيث يبدو أوسع من نيل مصر في هذا المكان والسياح أكثرهم بيض من أقطار أمريكا الجنوبية البيضاء وفيهم إمراتان ذاتا سمرة شديدة تبين أنهما من (سورينام).

وقد بدت الأبنية متعددة الطوابق وهي العمارات من وراء الشاطيء عالية وإن لم تكن كثيرة في الوسط التجاري من المدينة أو مايسميه الامريكيون بالداون تاون.



جزء من مدينة بيليم كما يبدو من النهر

هذا والجو معتدل يميل إلى الحرارة ولكنها حرارة ليست مؤذية على خلاف مايظن إذ البلدة لا تبعد عن خط الاستواء.

ولكن وقوعها على نهر خضم من المياه وكثرة الامطار وكثافة الغابات جعل الهواء فيها بارداً لاسيا في هذا النهر الذي يشق مجراه غابات كثيفة وأماكن كانت في الأصل كذلك.

وكذلك السائحون المرافقون كلهم نظيف الثياب، حسن المظهر لأنهم في الأصل من القادرين على السفر المحبين للاستطلاع.

هذا وقد رأينا النهر مكتظاً بالمياه حتى انه قد جرف على ضفتيه أشجار الغابات ولاندري السبب في ذلك ثم رأينا قارباً لجماعة من الذين يسكنون في الغابات قال بعض الرفقة: إنهم من الهنود الأمريكيين ولقد رأيت بعض هؤلاء السكان على البعد فخيل إلىّ انهم يشبهون سكان تايلند ولاشك في أن سر ذلك ان لهم بعض الملامح المغولية وأما الشبه الكامل فهو صحيح وإن أقرب الناس اليهم هم سكان تايلند أو الهند الصينية مع فروق رئيسية.

اما أشجار الغابات الكثيفة فإنها متنوعة لأنها طبيعية ولكن توجد منها أشجار النارجيل النحيل الذي يشبه منظره على البعد منظر النخيل.

سانتا ماريا قواترا :

إبتعد القارب عن مدينة بيليم (بيت لحم) فصار يسير في النهر بين ضفاف تجللها الغابات الملتفة بل المظلمة ولذلك لايبدو فيها أي أثر للمنازل والاناسي. وواجهنا قطعاً من نبات الماء الذي ينمو على سطح النهر بدون أن تحتاج جذوره إلى يابسة وإذا رأيته خيل اليك أنه من نفايات النبات الطافية في الماء لولا كثرته.

وقال الدليل الذي ذكرنا أنه لايكاد يحسن من الإنكليزية شيئاً: إننا الآن نصل إلى (سانتا ماريا قواترا) وهي منطقة من مناطق الغابات العذراء التي تحميها الحكومة لذلك حتى يرى الناس غابات عذراء كأنها هي الغابات الموجودة قبل وجود الانسان على الأرض وسننزل فيها وينبغي أن ننوه على أن سانتا ماريا تعني عندهم القديسة ماريا.

ومن الأشجار الغريبة التي رأيناها شجر يشبه شجر النارجيل لكنه أملس وفروعه كفروح شجر النارجيل وقد صورتها إلا أن شريط المصورة فسد مافيه من الصور عن الغابة.

الدليلة والدليل :

أبعد الدليل مع جماعة من السياح الذين كان يكلمهم بالبرتغالية والاسبانية وكنا رأينـا في الزورق امراة لفت نظرها الينا أننا لانعرف الا الانكليزية فترجمت لنا بعض الجمل وكنا نظنها متبرعة بذلك متطفلة على المهنة لأنها سألتنا عن بلادنا فأخبرناها ثم سألناها عن نفسها فقالت اسمي : (فيرا لوسياماسيو دو كاهدوزو) وهذا الاسم كما رأيته طويل ومع ذلك هو ثقيل حاشاً الأول منه وقالت: إنها مع إبنتها وأشارت إلى فتاة صغيرة السن في السادسة عشرة وصديقها أو قالت خطيبها وهو شاب وسيم وأنها أرادت مساعدتنا الا أنها عندما رأينا معرفتها وخبرتها بهذه الأمور سألناها عن عملها؛ فقالت: إنها دليلة سياحية في هذه الشركة نفسها التي سيرت هذه الجولة وأنها حضرت مع ابنتها وصديق إبنتها لأن اليوم هو الأحد وغالباً مايكون فيه عدد السائحين كثيراً فلا يستطيع زميلها وحده أن يفهمهم كلهم لأن عليه أن يشرح بأكثر من لغة وأن يرفع صوته ليبلغهم كلهم إضافة إلى الاجابة على **استفساراتهم**

وقد فرح الرفاق الذين هم مثلنا لايحسنون إلا الإنكليزية فتبعوها خاصة وتركوا الدليل الكسلان ومن معه.

أشجار غريبة.

بدأت فأكملت شرح ما أهمله الدليل وقالت : إن هذه الشجرة **اسمها** (كوب وابوازيرو)، وهي من الأشجار النادرة وكنا قد نزلنا من القارب في النهر نتمشى في جزء من الغابة. ثم رأينا شجرة الكاكاو مثمرة على أنها قد نمت وحشية أي من دون غراس أو تعهد بالسقي، وقالت : إنه يصنع من هذه الشجرة (الشوكولاته) الجيدة.

ووقفت أيضاً عند شجرة غريبة أخرى وقالت: هذه تسمى (كوبوا سو) فيها فاكهة تصنع منها الحلوى و(الآيسكريم).

ثم مررنا بمجموعة من أطفال سمر الألوان أظنهم من أطفال الهنود الامريكيين صعدوا شجرتين متباعدين عاليتين ثم أمالوا غصون الشجرتين كل واحدة منهما إلى الأخرى حتى اقتربتا فتماسكوا بالايدي بين تصفيق المشاهدين من السياح واعجابهم وقد منحوهم بعد ذلك مقادير قليلة من النقود.

وكان كل واحد من هؤلاء الأطفال الذين ذكرت الدليلة أنهم من سكان الغابة

قد جعل في جيبه مايشبه الحبل الغليظ أو الضفيرة من خوص النارجيل فصعد بها الشجرة لأنها ملساء شديدة الملاسة بحيث لاتستطيع رجله من دون ذلك أن تمسك بها.

ثم أرتنا الدليلة أشجاراً من أشجار الغابة الضخمة قالت: إن اسمها (بارنا) وإنها من الأشجار الأمريكية الأصيلة وما رأيت لها مثيلاً فيما أذكره الآن اللهم إلا أن يكون ذلك في أشجار ضخمة رأيتها في كشمير التي تحتلها الهند اسمها (جنار).

ثم اوغلنا في الغابة سيراً على الأقدام وتجاوزنا حاجزاً كالسلم من الخشب قد اقاموه فوق مستنقع فيها حتى دخلنا في غابات ظليلة عذراء قالت: الدليلة إنها فيما يقال : كما راها الانسان الأول وذلك إشارة إلى تقادم عهدها وعدم المساس بها.

والدليل على ذلك أنها قد أصبحت مظلمة فقد حجبت الأشجار العالية التي تكون تحتها أشجار أقصر منها ضوء الشمس مع اننا في رابعة النهار.

وكانت الدليلة تشرح خصائص هذه الأشجار وطبائعها ومايستفاد من أوراقها أو اثمارها اذا كانت ذات ثمار وبينها عدة من ذوات الثمار.

ومنها شجرة عالية جداً بل سامقة في السماء اسمها (بوري يس زيرو) ذات فاكهة تسمى :(بورى يس) تصنع منها الحلوى.

ووقفت الدليلة أمام شجرة كبيرة من أشجار المطاط قالت: إنها طبيعية بمعنى أنها لم تغرس واقتلعت من جذعها قطعة ناشفة من المطاط قالت إنها قد اجتمعت من الشجرة على هيئة نقط مجتمعة من سائل كان من جذع الشجرة.

هذا وقد أظلمت الغابة حتى صعب علينا التصوير ومع ذلك وجدنا في قلبها مستنقعاً صغيراً قد وضعوا فوقه جسراً من رقاق الخشب.

ثم تجاوزناه وسط الغابة المظلمة التي لايكن التصوير فيها الابضؤ مساعد ووصلنا إلى مستنقع آخر قالت الدليلة: إنه ضروري لهذه الأشجار التي ترونها نابتة عليه لأنها لاتنمو الا في المستنقعات ولابد ان تكون أصولها في الماء دائماً.

صحراء الغابات :

أرتنا الدليلة شجرة اسمها (كاراوي) وهي كبيرة جداً، قالت : إنها يستخرج منها

(الكاجي) وإنها نوعان كبيرة مثل هذه ذات ثمار كبيرة وأخرى صغيرة ذات ثمار صغيرة.

ثم وصلنا بقعة من الرمال خالية من الاشجار شدتنا الكلمات التي تفوهت بها الدليلة اليها شداً ذلك بأنها ذكرت كلمة تعني كل شيء في بلادنا الا وهي الصحراء اذ قالت: إن مصلحة السياحة قد قطعت الأشجار من هذه البقعة الصغيرة التي هي كما ترونها ذات رمل أبيض لتري الناس كيف أن غابات الأمازون بدون الأنهار ان هي إلا صحراء رملية لاأكثر ولاأقل.

فانحنيت المس هذا الرمل السعيد الحظ في وسط غابات الأمازون المظلمة وأرثي لرملنا الصحراوي العربي الذي تحرقه الشمس كل يوم ولا يرى العود الأخضر الا في الربيع اذا واتاه الحظ بقليل من المطر.

وقد بادرنا مع بقية السياح نصور انفسنا في هذه الصحراء الأمازونية! الواقعة وسط الغابات وكأنما كنا نخشى أن يفوتنا رملها ونحن الذين نحب ان نستريح من منظر الرمل في بلادنا ولو إلى حين.

وفي متسع من الغابة مسفر قليلاً وجدنا فتيات من فتيات الهنود الأمريكيين معهن سلع بسيطة من الموجود هنا من بينها ثمار ناضجة طازجة من ثمار الكاكاو قد قطفت لتوها من أشجارها وحبال قد صنعنها من أغصان الشجر الموجود هنا وأوراق طيبة الرائحة.

وكانت نهاية المطاف في هذه الغابة الأمازونية المظلمة الجلوس على كراس خشبية رثة داخل كوخ مبني من خشب الغابة وجدنا فيه عجوزاً في التسعين من عمرها قالت الدليلة: إنها يمكن ان تحدثكم عما يهمكم ان تسمعوه مما يرد على اذهانكم عنها. ثم ألقت العجوز بكملة عن الغابة بالبرتغالية إستمع إليها من يحسنون هذه اللغة.

وفي النهاية أوعز الدليلان الرجل والمرأه للسياح بأنهم ينبغي أن ينفحوا هذه العجوز بما يتيسر من الحلوان (البقشيش) ففعل بعضهم ذلك.

العودة إلى مياه النهر :

أمضينا وقتاً ممتعاً وإن كان شاقاً في هذه الغابة المظلمة وغادرناه في الحادية

عشرة والربع حيث صعدنا القارب النهري مرة اخرى.

وكنت أعجب من هؤلاء السياح الذين اكثرهم من كبار السن من الكهول فضلاً عن الشيوخ والشيخات ولم يمنعهم ذلك من الصبر على السير هذه المدة الطويلة ولاشك ان السبب في ذلك هو حب المعرفة والاطلاع وهي غريزة تبقى مع المرء طول حياته لايؤثر فيها كبر السن مادام يتمتع بصحة جيدة مناسبة لسنه.

وسار القارب في النهر مرة أخرى وصرنا أيضاً نسير وسط غابات نراها مطبقة بل مظلمة على ضفتيه وكأنما هي الغابة التي رآها آدم ابوالبشر ان كان قد رأى هذه المنطقة لم تتغير.

هذا مع أنني رأيت بعد ذلك فيها أناساً ليسوا شديدي السمرة ورأيتهم قد نشروا ملابسهم على أغصان الأشجار ولاادري أهم من عمارها الدائمين ام هم من المتنزهين العابرين.

ثم ترك القارب المجرى الرئيسي من النهر وسلك فرعاً ضيقاً منه اخذ يضيق كلما أمعن القارب فيه حتى كاد يغلق الطريق فعاد القارب أدراجه وركب متن النهر في مناظر طبيعية بديعة لاسيما مع كون النهر في حالة فيضان قد طمت مياهه الحمراء على الضفتين فجرفت بعض الأشجار.

وكانت نهاية هذه الجولة النهرية في حوالي الواحدة ظهراً.

جولة في مدينة بيليم :

لم نجد سياحة عامة داخل مدينة بيليم هذا اليوم فأسفنا لذلك لكوننا سنغادر بيليم في هذه الليلة دون أن نجد من يعرف الانكليزية ويساعدنا على الجولة فيها، وعندما أبدينا ذلك للدليلة السياحية في الرحلة النهرية في هذا الصباح قالت: إنها يمكنها أن تحضر لنا سيارة خاصة بعد الظهر وأن تقوم هي بشرح مانحتاجه لكونها تعرف الانكليزية وهي خبيرة بالمدينة والجولات فيها. وأن يكون ذلك في الثانية من بعد الظهر.

وقبل الموعد المحدد بقليل كان موظف الاستقبال يدعونا للنزول للجولة فوجدنا الدليلة قد أحضرت سيارة تقودها بنفسها.

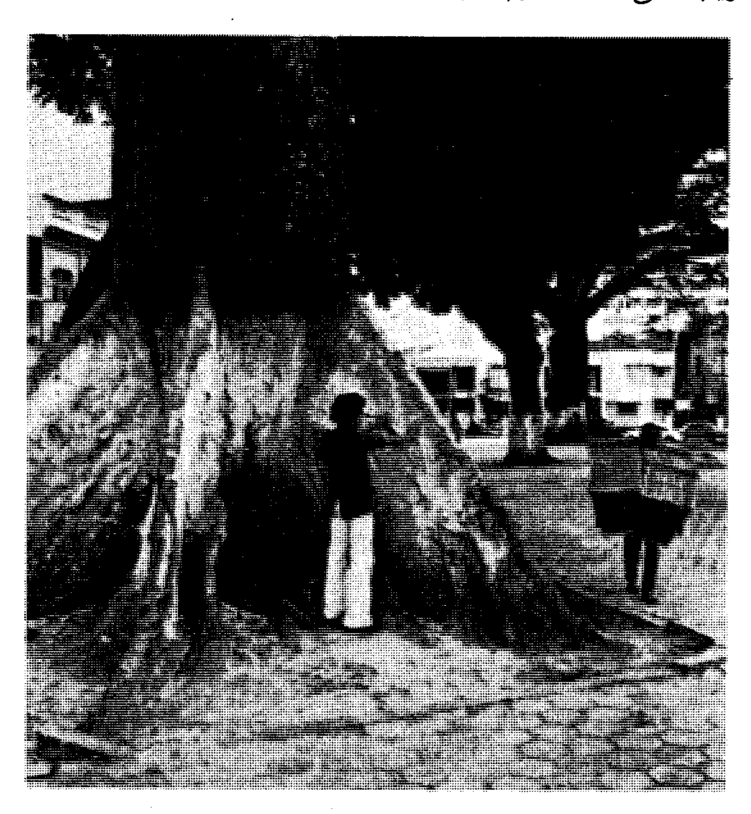
انطلقت السيارة في الثالثة وقالت وهي كذلك: اسمي (فيرالوسيا مايسو دو

كـاهـدوزو) وأنـا متزوجة ولي أولاد أكبرهم تلك البنت التي رأيتموها مع خطيبها في القارب هذا الصباح.
ومع أن هذه المعلومات ليست مهمة لنا فإننا شكرناها على إخبارنا من باب المجاملة.

المتحف الثمين :

قالت الدليلة: إن أهم مافي المدينة مما تنبغي مشاهدته هو متحف (اميليو قوبلده) فـهـو مـتـحـف للـحيوان والنبات وكل ما يتعلق بالأمازون، وداخله أشجار معمرة منذ مـئـات الـسـنين، بل كـانـت مـوجـودة ونـامية قبل وصول الأوربيين إلى هذه القارة الأمريكية الجنوبية بأزمان.

ورأيـنـا بـعـض هـذه الأشـجـار ضـخـم الـسوق، سامق الفروع، متشعب الأغصان وأكثرها غريب على أفكارنا وأبصارنا.



وقد خلط القائمون على هذا المتحف بين غرائب الحيوان وغرائب الاشجار فقد رأينا بجانب شجرة معمرة حوضين للتماسيح أحدهما للصغار والآخر للكبار وهذه التماسيح تستحق المشاهدة فهي امريكية أصيلة لأنها من تماسيح الأمازون، وفي الحيوان فروق اذا اختلفت مواطنها وظروف معيشتها أكثر من تلك الفروق التي تكون بين بني الانسان وإن اختلف موطن الانسان وظروف معيشته، وذلك بسبب وحدة الانسان في الاصل إذ الناس كلهم من آدم بخلاف الحيوان الذي لايستطيع المرء أن يجزم بأن لكل نوع منها أبا واحداً أو آدم واحداً إن صح التعبير.

حيوان نادر :

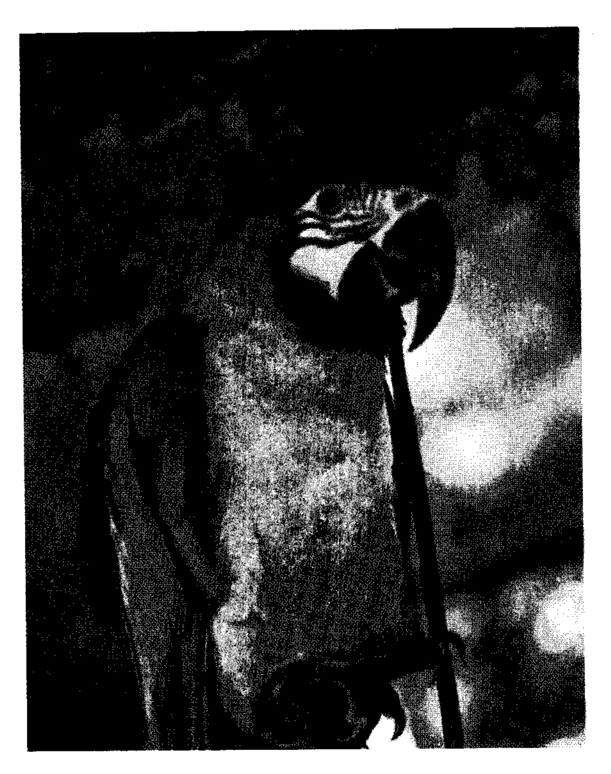
من الحيوان النادر الموجود في هذا المتحف أو لنقل الحديقة حيوان اسمه (فوتشيا) قالوا إنه من حيوان امريكا الجنوبية ثم سمك الأمازون المسمى: (بوراكي) وشكله يشبه شكل الثعابين السود، وحيوان مائي أيضاً قد وضعوه في حوض من الماء وهو شبيه بكلب البحر لكن قالت الدليلة: إنه غيره وانه حيوان خطر وقد كتبوا تحذيراً من الاقتراب منه بالبرتغالية.

وبقرة السمك وإسمها عندهم (بيش بوي) ترجمتها الدليلة إلى (كاو فيش) بالانكليزية لهذا المعنى. وهي سوداء عجيبة الشكل تنساب في حوض الماء وتأكل العلف كما تأكله البقرة وقالت الدليلة: إنها تعيش على أكل الحشيش في نهر الأمازون وهي في سائر أمرها كالسمك المعتاد. ثم كلب البحر الأمازوني وهو صغير الحجم بالنسبة إلى الحجم المعتاد من هذا الحيوان

وحيوان اسمه (كواتشي) كالكلب الصغير الاانه أحمر اللون وله خرطوم يشبه خرطوم آكل النمل، وليس به، رأيناه بعد ذلك ولم تستطع الدليلة الا أنها وصفته بالحيوان الغريب وهذا صحيح.

وطيور غريبة :

فيها طيور مائية كبيرة بعضها من فئة مالك الحزين وبعضها كالغرانيق التي نعرفها في بلادنا حين تمر بنا مهاجرة من الجنوب إلى الشمال وبالعكس مرتين في السنة والغريب في أمرها اجتماعها ما بين أبيض ناصع البياض وأحمر قاني الحمرة. وكلها من غابات الأمازون.



وببغاء اسمها (بابا قايو) و(بابا قايو) تعني الببغاء، وهي تردد ماتقوله الدليلة تماماً وربما كانت هذه كلمات الفت الببغاء النطق بها من كثرة ترديدها أمامها لان الدليلة تتردد على هذه المكان بحكم عملها. ولذلك إمتحنتها بكلمات من العربية لأرى كيف تنطق بها فرددتها بلكنة ظاهرة كما يفعل الأعجمي حينما يحاول النطق بالعربية فعرفت أن العجمة أو اللكنة ليست خاصة ببنى الانسان.

وأخبرتنا الدليلة أن عندهم نو عاً من الببغاوات يغرد كما تغرد الطيور الصداحة، ولا يتكلم.

وهناك نوع آخر رأيناه هنا من الببغاوات اسمه (راراجوبا) أصفر اللون صفرة فاقعة كتبوا عليه انه يصيد السمك ويتغذى عليه.

ولقد أكثروا من عرض أنواع الببغاوات النادرة الغريبة مثل نوع اسمه (نورانكو) طويل، مستطيل الشكل طويل الذيل وكلها يعيش في غابات الأمازون ولاعجب في ذلك لأن الببغاوات هي من أكثر الطيور بل الحيوان كله اختلافاً في الأنواع

والأشكال ولقد شاهدت من أنواعها في أنحاء العالم العشرات إن لم أقل المئآت. ولكن أكبر ببغاء حجماً رأيتها هو نوع عرضوه هنا اسمه (أورو بوهيبي) وحجمها في قدر حجم النسر الكبير من نسور بلادنا.
وعندما يرتد البصر من النظر إلى الحيوان والطيور والشجر و ينظر إلى الناس الذين يوجدون في الحديقة يجدهم عددهم كبيراً ذكرت الدليلة السبب في ذلك وهو أن اليوم هو يوم الأحد وأما الوانهم فإنهم سمر وهذا هو اللون الغالب عليهم أما السود فإن عددهم قليل، وإن كانوا يوجدون بشكل ظاهر في المدينة و يرى المرء من البلاد منذ جيل أو جيلين.

وزواحف غريبة :

من ذلك أنواع منوعة من الحيات بعضها هائل الحجم ولكنه غير سام اسمها (انترانـاجـا) ونوع من السلاحف الغريبة الشكل الصغيرة الحجم ذكروا أنها بطبيعتها هكذا وأنها لا تكبر ونوع آخر كبير الحجم موضوع في أحواض ضخمة.

وأما الأشجار والنباتات الغربية فإن غرابتها لم تنقطع رؤيتها منذ دخولنا إلى هذا المكان من ذلك شجرة كبيرة جداً كالتي رأيتها في غابات الأمازون الحقيقية ضحى هذا اليوم قالت الدليلة إنها غرست في عام ١٨٩٦هـ لكنها الآن سامقة الطول و يبلغ ارتفاعها ارتفاع نخلة متوسطة الطول اربع مرات.

وشجرة لها أوراق كأوراق اليوسفي (المندرين) ولها رائحة الثوم اسمها (سي باواليو) يوضع من أوراقها مع الطعام عدد قليل فيجعل له نكهة خاصة ثم رأينا زهرة (فيكتوريا ريجيا) التي رأيتها في غابات المازون قرب (ماناوس) وذكرتها هناك.
واوقفتنا الدليلة بإهتمام أمام شجرة عالية قالت إن لها رائحة طيبة ثم اخرجت مفتاح سيارتها وحكت به جذع الشجرة فوجدنا رائحة ذلك رائحة الطيب وقالت اسمها (باو هوزا).

قاعة التحنيط :

كانت الجولة السابقة كلها في الهواء الطلق أو لنقل تحت السماء لأن الهواء لم يكن طليقاً في كل الأحوال بل كانت الأشجار تتزاحم حتى تحد من انطلاقه.

ولكننا الآن ندخل قاعة ضخمة مسقوفة وهي واسعة الا أن أصوات المتفرجين فيها كانت مختلطة بل كانت مزعجة لأنها لم تكيف ضد تردد الأصوات. وفيها معروضات ثمينه جداً أكثرها محنط أو لنقل محفوظ ليشمل ذلك ما كان من الحيوان والنبات.

ومن أبرز مافيها أنواع من الفاكهة البرازيلية المحلية أهمها فاكهة (القوارانا) التي لاتوجد الا في بقعة معينة من الأمازون ولاتوجد في اي مكان آخر من العالم، وقد صنع البرازيليون منها شراباً لذيذ الطعم مدراً للبول يشربونه كما يشرب الأمريكيون الكوكاكولا إلا أن لون القوارانا شبيه بلون عصير التفاح المحفوظ فيشتبه أمره على من لايعرفه بأنه غير حلال.

وهناك نوع من هذا الشراب يسمونه (سوبر قوارانا) لاتكاد تفرق بينه وبين الجعة (البيره) إذا كانا موضوعين في كأسين متجاورين، ولايستطيع الغريب مثلنا أن يشربه الا بعد أن يؤكد له ثقات عنده بأنه خال من المحرمات والمواد المسكرة.

وشجرة المطاط مجسمة وذلك لأهمية المطاط في منطقة الأمازون في الماضي بل كانت الأمازون في وقت من الاوقات تحتكر زراعة المطاط حتى نافستها عليها أقطار في جنوب آسيا الشرقي مثل بلاد الملايو وفي غرب إفريقية مثل ليبيريا.

وشجرة (سيدرو) وهي فاكهة محلية.

وعرضوا مع ذلك أنواعاً من الأطعمة أو لنقل من البقول وأثمار الاشجار التي تتخذ منها الاطعمة وكلها من الأمازون وكان سكانه القدماء من الهنود الأمريكيين يستعملونها.

ثم عرضوا نماذج فريدة من أشياء غريبة كاد يختص بها أهالي هذه المناطق الأمازونية قبل وصول المكتشفين الأوروبيين مثل توابيت ذات أغطية قد تركوها مفتوحة من أجل رؤية داخلها ويضع فيها هنود الأمازون الميت وهو على صفة الجالس وليس كالمستلقى أو النائم.

ومخلفات من الأواني التي كان يستعملها أولئك القوم معظمها مصنوع من الفخار في أنواع مختلفة وبجانبها عرضوا سرير النوم من الخيش وهو الذي يكون كالارجوحة يشد بين شجرتين أو بين غصنين من أغصان الشجرة الكبيرة وينام عليه الانسان فينثني وسطه إلى الارض وهو شائع الاستعمال في المناطق الاستوائية بسبب وجود



حشرات سامة ومؤذية فضلاً عن الرطوبة الشديدة والنائم عليه يتلافي ذلك كله وان يكن النوم عليه ليس مريحاً كالنوم على الارض أو على السرير الثابت.

ومع ذلك عرضوا أنواعاً منوعة من الريش الذي كان الهنود وهم الأمريكيون الأصلاء الذين كانوا يسكنون البلاد قبل قدوم الأوروبيين يزينون رؤسهم بأنواع منه وقد وضعوا الريش على تماثيل رؤس رجال ونساء من الهنود.

ومع مخلفات الهنود هذه التي تستعمل في السلم عرضوا أسلحتهم وأدوات الحرب عندهم وهي بسيطة غير معقدة وربما تكون غير فعالة ويدل ذلك على عدم عراقتهم في الفروسية ومحبة الحرب كما هي عليه الحال بالنسبة إلى شركائهم في التسمية وفي سكنى أمريكا وهم الهنود الحمر الذين كانوا في أمريكا الشمالية قبل وصول الأوربيين.

فأسلحة هنود الأمازون هؤلاء تتألف من المقاليع ــ جمع مقلاع ــ وهو الذي تحذف فيه الحجارة الصغيرة إلى مسافة معينة، والسهام الصغيرة وطبل كبير جداً كانوا يقرعونه عند الدعوة إلى اجتماع حاشد.

وبالنظر إلى الطبيعة السائدة في المنطقة وهي الندى العظيم وغلبة الرطوبة بسبب كثرة الأمطار والانهار والغابات فانهم اعتنوا بتحنيط حيوانات بحرية نادرة مثل نوع من السلاحف ذكروا انه انقرض الآن ولايوجد منه شيء حي.

ونوع من الصقور هائل الحجم أرقط الريش اي هو أبيض منقط بسواد، أو إن شئت قلت إنه أسود منقط ببياض ذكرت الدليلة انه يخطف الأطفال الصغار ثم يذهب بهم ويأكلهم.

وعرضوا ايضاً من الحيوان المنقرض جثة نمر أسود ضخم جداً حنطوه تحنيطاً جيداً وكان يعيش في أمريكا الجنوبية ولايوجد في غيرها من القارات.

ثم شجرة قد نبتت الاعشاب فوق أغصانها كما نبتت في الأرض وهي محنطة أو لنقل محفوظة غير نامية.

وسلاحف ذكر أنها برية أي أكثر سكناها في اليابسة وهي صفراء اللون قد عرضوها بجانب حوض إصطناعي من الماء.



عود إلى الجولة في المدينة :

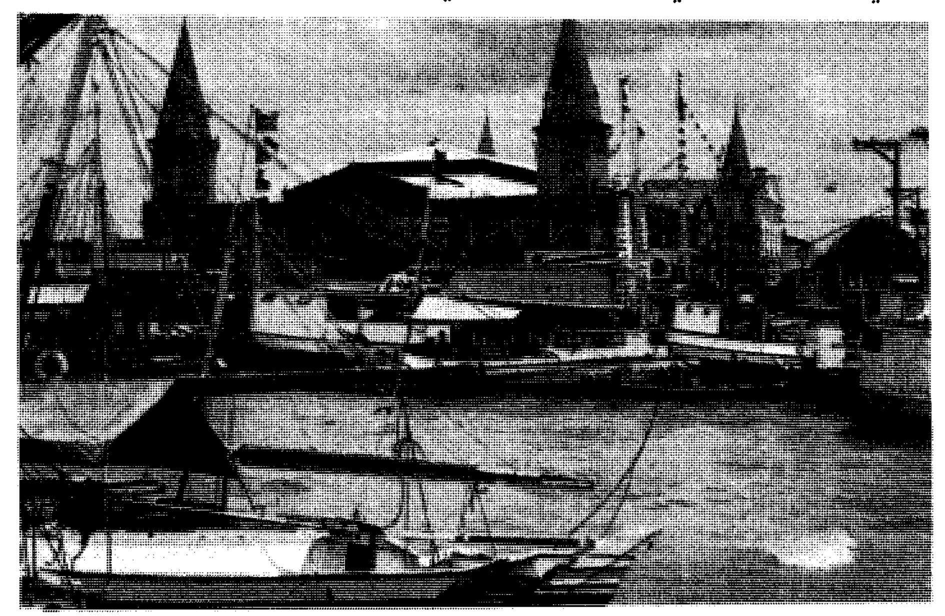
قاربت الساعة أن تصل الخامسة عندما انتهينا من رؤية مافي هذا المتحف النباتي الحيواني العظيم وقد مضى الوقت دون ان نشعر بسبب غرابة مافيه على أفكارنا وأبصارنا نحن القادمين من بلاد آسيوية صحراوية.

وبدأنا الجولة على مدينة بيليم التي ينبغي أن ننوه بأن عدد سكانها يبلغ مليون نسمة. ومن حسن حظنا أن المطر قد بدأ يتساقط الآن ولوكان فعل ذلك قبل وقت قليل لكان حرمنا من التجول في المتحف العظيم.

وصلنا وسط المدينة أو قلبها التجاري ويتألف من أبنية متعددة الطوابق (عمارات) غير متلاصقة ولكن أكثرها غير بهيج المنظر ويخيل اليك أنه ينقصها الطلاء الجيد. وبينها بيوت مبنية من طابق أو طابقين لا تزيد على ذلك.

إلا أن المرور فيها منظم من الإشارات الضوئية إلى الخطوط البيض في أرض الشوارع.

ثم خرجنا إلى ضاحية جديدة فيها أبنية مهمة من أهمها فندق هيلتون قرب الشاطيء الذي هو شاطيء النهر وليس بشاطيء البحر وعندما رأينا الميناء الكبير الذي



جانب من ميناء مدينة بيليم

هو ميناء لهذه المنطقة من شمال البرازيل لم نصدق أن هذه المياه الضخمة كلها من المياه النهرية العذبة وليست من مياه البحر فهو يبدو كالميناء البحري الكبير لدولة متوسطة مع أن البحر الذي هو المحيط الأطلسي يبعد عن مدينة (بيليم) مائة واثنى عشر كيلو متراً.



أحد الشواطىء قرب مدينة بيليم

وغير بعيد من الميناء رأينا سوقاً للسمك تقف على الماء بجانبه قوارب صيد السمك وهي تفرغ حمولتها من الأسماك أو تبيعها من فوق ظهور القوارب مثلما كان عليه الحال في جزر مالديف، وذكرت ذلك في كتاب : «رحلة إلى جزر مالديف : إحدى عجائب الدنيا».



مرفأ للقوارب في بيليم

ثم ذهبنا لرؤية قلعة قديمة بناها البرتغاليون إبان إستعمارهم للبرازيل وقبل إستقلالها بزمن وقد نصبوا على مداخلها مدافع ضخمة قديمة أيضاً وتسمى قلعة

(كاستبلو) على اسم الذي بناها من البرتغاليين.

ويذكر بهذه المناسبة ان إبتداء العمارة في مدينة (بيليم) كان في عام ١٦١٦م.

وبينما كنا في جولتنا نحاول أن نرى الأماكن المهمة كلها أو أكثرها في هذه المدينة النائية (بيليم) اذا بالسحب الاستوائية السود التي كانت تجلل الأفق تتفجر بالمطر المدرار فلم نستطع السير فأوقفنا السيارة وأغلقنا الزجاج فكدنا نختنق من الحر لأن المنطقة حارة بسبب قربها من خط الإستواء أو عدم ارتفاعها عنه، والعادة في الاجواء التي تكون كذلك ان تكون برودة الجو فيها سببها تحرك الهواء الرطب فاذا أغلق دونه الزجاج أو النافذة يشعر الإنسان بالحر الشديد.

وبمناسبة الحديث عن الحر والبرد ذكرت الدليلة أنه لاتوجد لديهم فصول أربعة كالتي تكون في البلدان البعيدة عن خط الاستواء وانما هي فصلان في السنة أحدهما ممطر والآخر غير ممطر وإن كانت قد تنزل خلاله أمطار وليس هناك فصل حار أو فصل بارد الا مانشأ عن المطر.

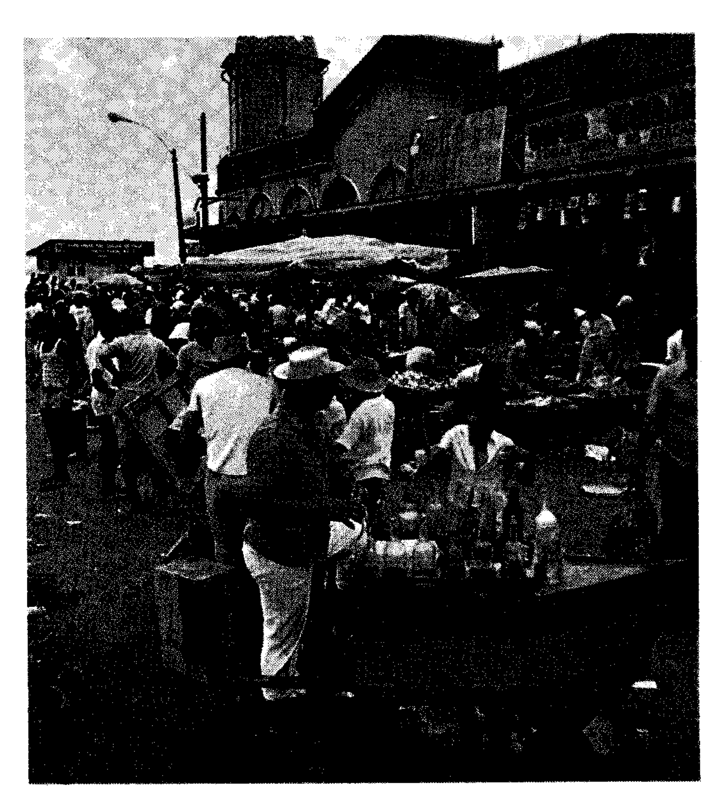


جانب من حديقة ردريقوس في بيليم

رأينا مطعماً كبيراً على شاطيء النهر فرأينا اللجوء اليه لشرب الشاي حتى يقف المطر ولكنا وجدناه مغلقاً لأن الوقت كان في السادسة الا ربعاً وليس وقت غداء أو

عشاء فأوقفنا السيارة في مكان قريب منه حتى وقف المطر ثم انطلقنا في تمشية قصيرة على شاطيء النهر فكان مالفت أنظارنا أنهم أقاموا هياكل لمدافع ضخمة وهي مدافع اصطناعية وضعوها بمثابة الإيحاء بالأهمية التاريخية لموقع المدينة.

ثم اخترقنا المدينة الاستعمارية وهذه تسمية موجودة في كل أنحاء امريكا الجنوبية تقريباً ويراد بها الجزء القديم من المدينة الذي كان موجوداً في زمن الاستعمار. وقد ذكرت عدداً من هذه المدن الاستعمارية التي أصبحت مجرد أحياء قديمة يحافظون عليها لأهميتها التاريخية وذلك في كتاب «رحلات في أمريكا الوسطى» المطبوع ومن أهمها القسم القديم من مدينة كيتو عاصمة الإكوادور ومدينة بنما وبوغوتا عاصمة كولومبيا.



سوق شعبي في بيليم

وفي هذه المدينة الإستعمارية البرازيلية رأينا الشوارع مبلطة ــ كالعادة ــ بالحجارة الصغيرة أو بالفخار بدلاً من الاسفلت وبيوتها من الآجر من طابق أو طابقين

لاتزيد على ذلك إضافة إلى ضيق شوارعها الذي هو مفهوم السبب وان كانت الدليلة رأت أنه لابد من إيضاحه لنا وهو أنه لم تكن توجد سيارات عند تخطيط المدينة لأنها لم تخترع بعد ولذلك لم يجدوا أنفسهم بحاجة إلى الشوارع الواسعة.

وسألت الدليلة وهي أوربية الأصل أو لنقل لاتينية الأصل ونريد بذلك أنها ترجع في أصل نسبها إلى البرتغاليين أو الأسبانيين ولكنها تغيرت أو تغير آباؤها من قبلها بسبب الجو فصارت في لون العربيات سألتها عن السود الذي رأينا طوائف منهم في هذه المدينة أكانوا عبيداً كلهم في الأصل ؟ فقالت: إن أكثرهم من العبيد ولكن طائفة منهم تغيرت ألوانهم عن السواد الخالص بسبب التزاوج والاختلاط فتحول سواد الوانهم إلى سمرة داكنة.

وكأنما لمست منى الرغبة في الحديث عن أصلها فذكرت أنها تعرفت على زوجها في أول الأمر وانجبا البنت التي رأيناها مع خطيبها في القارب في هذا الضحى.

وبمناسبة الزواج الذي لابد ان يكون في الكنيسة بالنسبة للمسيحيين سألتها عن ديانتها فقالت: إنها في الأصل مسيحية كاثوليكية ولكنها لاتعتقد بالمسيحية ولا تواظب على الذهاب للكنيسة وقالت: إن هناك عدداً كبيراً من الناس هنا مثلها معددون من المسيحيين ولكنهم لايؤمنون بالمسيحية.

وعدنا إلى الفندق بعد غروب الشمس بقليل فطلبت أجرتها عشرة دولارات لكل واحد منا انا وزميلي الشيخ محمد بن قعود لأجرة السيارة وللهداية والشرح.

وجولة الأقدام بعد الغروب :

غربت الشمس وكف المطر ولطف الهواء فطاب السير على الأقدام وحدانا الى ذلك أيضاً معرفتنا بقرب مغادرة هذه البلدة البرازيلية النائية وعدم الرغبة في العودة اليها.فبدأنا السير في شارع الفندق الذي نسكن فيه وهو فندق (نوفوتيل) فكان أول مارأيناه مما يلفت نظرنا وأمثالنا فيه هو ما رأيته كثيراً في بلدان المناطق الاستوائية في آسيا وافريقية.

وهو وجود قناة على جانب الشارع تصب فيها مجاري المياه المستعملة والقذرة الخارجة من البيوت، وهي مكشوفة قد وضعوا فوق ما يحاذي مداخل البيوت منها غطاء من الحجارة أو الاسمنت أو حتى الخشب في بعض الأحيان.

والسبب في وجودها في المناطق الاستوائية دون غيرها هو كثرة الأمطار في تلك المناطق التي تنزل وقد سلطوا مجاريها على هذه القنوات فتأخذها معها وتقوم بطردها ولكن إذا تأخر المطر أو تجمع في المجرى أشياء صلبة فإن هذه المياه القذرة تركد وتكون لها رائحة خبيثة. وهذا ماأحسسنا به اليوم من حالة قنوات المجاري المكشوفة في هذا الشارع الذي عليه فندق (نوفوتيل) المهم، وعليه ميناء نهري صغير للقوارب ركبنا فيه في الجولة النهرية في صباح هذا اليوم.

وفي هذا الشارع عدة أماكن أو لنقل مشارب يسمع المار بها مكبرات للصوت تذيع الموسيقى الراقصة التي يستطيبها الشاربون الطربون أكثر من غيرهم ولايبعد إيقاعها كثيراً عن الموسيقى السائدة الآن في المدن الافريقية المتطورة مثل نيروبي وأبيجان.

ولايبدو ذلك غريباً إذا نظرنا إلى المارة ورواد المشارب التي هي مفتوحة على الشارع وفيهم نسبة عددية من السود الذين يبدون أو يبدو بعضهم كالإفريقيين تماماً وأكثر من رأيتهم يرقصون في هذه المشارب هم السود وفيهم متغيرون ومختلطون بالسمر.

وحتى الملابس فإن بعضهم يقتصرون على لبس التبان وهو السروال القصير وقد اعتادوا على ذلك بسبب الحر والرطوبة وبسبب الملل من التزين في اللباس ومصدر ذلك التحلل من اللباس هو التحلل من أشياء كثيرة مهمة غير اللباس.

وقد شربنا (القوارانا) مشروب البرازيل المميز في إحدى المقاهي. وتفرجنا برؤية المارة غير أن الجو كان غير مناسب لان مناظر المارة غير سارة ولأن رائحة خبيثة كانت تنبعث من مجرى المياه المستعملة الممتد مع امتداد الشارع الذي عليه المقهاة.

مغادرة البرازيل :

طلب مني موظف في إدارة الفندق أن ندفع أجرة يومين مع أنه لم يمض لنا إلا حوالي عشرين ساعة والمفروض ان اليوم الواحد في الفندق هو أربع وعشرون ساعة ولكن قال : إن يومكم الأول إنتهى في الثانية عشرة ظهراً مع أنكم لم تقيموا في الفندق إلا اثنتي عشرة ساعة ويومكم هذا محسوب عليكم وليس عندنا نظام المحاسبة لنصف يوم.

فدفعنا لاجرة يومين مائة وثلاثين دولاراً لغرفتين لي ولرفيقي الشيخ محمد بن قعود وهذا رخيص.

وفي العاشرة ليلاً كنا نغادر الفندق في سيارة أجرة بخمسة آلاف كروزير و يساوي ذلك دولارين امريكيين.

أما المطار فيستغرب المرء منا وجوده بهذه الصفة المتدنية في البرازيل ذات المطارات الفخمة المرتبة المنظمة في مدنها الكثيرة المتعددة وبخاصة مدن الجنوب والوسط لأن مطار (بيليم) هذا صغير وقاعة الترحيل فيه حارة، وقد وكف سقفها أي: خر منه الماء على أثر سقوط المطر في الليلة البارحة ورأيتهم في أحد الأمكنة وضعوا سطلا ينقط فيه الماء من السقف.

والموظفون يبطئون في انجاز الأعمال على عكس ماعرفناه في المدن التي رأيتها في البرازيل وبخاصة مثل (سان باولو) بل مثل (كورتيبا) التي هي مدينة صغيرة بالنسبة إلى هذه البلاد الواسعة الشاسعة ذات المائة والثلاثين مليوناً من البشر.

وسألت نفسي أذلك من أجل القرب من خط الاستواء أو البعد عنه؟ أم ذلك من أجل ألوان السكان فحيث توجد الشمس والسواد يوجد الإهمال والعكس بالعكس ؟

أم أن السر هو في المكان والسكان معاً؟ ثم قلت : الله أعلم.

على أن الشيء الذي يحسه من يبحث عن الجمال في مصادر الجمال يرى أن الوجوه التي توجد في هذا المطار أكثرها غير نضرة بل هي كدرة وقد جمعت بين السمرة والصفرة.

وغادرنا مدينة (بيليم) وبذلك غادرنا البرازيل حين قامت الطائرة في الثانية عشرة وهو منتصف الليل قاصدة غيانا الفرنسية المجاورة وسوف تقوم منها إلى مدينة (بارامار يبو) عاصمة دولة (سور ينام) التي نقصدها وقد قصصت أمر هذه الرحلة إلى سور ينام في كتاب «رحلات إلى أمريكا الجنوبية».

المحتويـات

الموضوع | صفحة